

الأصحاح الخامس عشر

نبذة عن موآب:

موآب أصلاً هو بكر ابنة لوط من أبيها بعد خراب سدوم وقد تسمت بلاد موآب نسبة إليه.

سكن الموآبيون شرق البحر الميت وكانت بلادهم تنقسم إلى بلاد موآب، وعربات موآب وهذه كانت في وادي الأردن مقابل أريحا.

عند رجوع بني إسرائيل من أرض مصر كان موآب قد صار أمة قوية إلا أن الأموريين كانوا قد طردوهم إلى جنوبي أرنون (عد ٢١: ١٣؛ قض ١١: ١٨).

دعا موآب ومديان بلعام بن بعور ليلعن شعب الله (عد ٢٢)، غير أنه باركه حسب الأمر الإلهي.

وقد سمح بنو رآوبين للموآبيين أن يسكنوا في المدن حولهم وقد ضل الرآوبينيون وراء عبادة الموآبيين ولا سيما عبادة كموش رجبس الموآبيين.

وقد اتسمت العلاقة بين العبرانيين وموآب بالعداوة وقامت بينهم حروب كثيرة.

في أيام القضاة قتل أهود محلون ملك موآب.

على أنه في بعض الأوقات كانت العلاقات ودية وكان بعض الشعب يتغرب ليسكن في موآب كما حدث في أيام نعى حماة راعوث الموآبية.

ولكن من المعروف أن عبادات الموآبيين كانت كلها وثنية مصحوبة بالنجاسات وعبادات رديئة كثيرة وكانت تحذيرات كثيرة من الله لشعبه حتى لا يختلط بالشعوب المجاورة ولا يصاهرهم "لا تعطي بنتك لابنه ولا تأخذ ابنته لابنك لئلا يزيغ الأولاد وراء نجاستهم".

وكانت موآب تدخل في أحلاف مع الشعوب المجاورة ضد يهوذا وإسرائيل.

كما حدث في أيام يهوياقيم ملك يهوذا (٢ مل ٢٤: ٢)، وكانت موآب تشمت وتسر بكسر إسرائيل ومذلتها ولكن الله أنذرها بالقصاص (حز ٢٥: ٨-١١؛

صف ٢: ٨-١٠) وقد ذكر إرميا أسماء المدن التي ستخرب في موآب بأسمائها وإشارة إلى خراب الكرم والتين وإلى اختباء الأهالي في الصخور.

وحي من جهة موآب:

الأصحاحان ١٥، ١٦ عبارة عن نبوات نطق بها إشعياء النبي نحو بلاد موآب - عن مستقبلها القريب والبعيد وفيها وصف تفصيلي لما سوف يحل ببلاد موآب من دينونة وغضب وخراب كأجرة للخطية وحصاد للشر - وفي الواقع عندما يتأمل الإنسان مليًا في نهاية طريق الشر وعاقبة الأشرار فإن هذا يكون أكبر درس للتوبة ورجوع الإنسان عن طريقه الرديئة لأن الكتاب يقول أن سدوم وعمورة حينما كابدتا حريق النار صارتا عبرة للعتيدين أن يفجروا والذين يذهبون وراء الجسد والنجاسات لذلك لا تخلو هذه الأصحاحات من تعاليم نافعة حينما يقرأها الإنسان لا كقصة قديمة وأحداث لأزمنة عابرة بل بالعكس كواقع متجدد كل يوم.

لأنه إن كانت الخطية مازالت تعمل وروح الظلمة مازال مستمرًا في غوايته للكثيرين... وما نراه كل يوم من زيغان وجحود وابتعاد عن الله... إن كان كل هذا مستمرًا وموجودًا تحت بصرنا وسمعنا فالدينونة إذًا محققة وواقعة لا محالة وإن كان العهد القديم بأكمله قد تحقق في الجديد إذ كل ما حدث في الجديد كان لكي يتم ما هو مكتوب... أو لكي يتم ما قيل بالأنبياء فإنه في العهد الجديد أيضًا قيل للرأي "هلم فأريك ما لا بد أن يكون".

فلنا إذًا أن نعتبر بدينونة الخطاة ونغار غيرة مقدسة من أجل توبتنا ومنفعتنا. ثمة أمر آخر يجب ألا يخفى علينا إن زمن الخطاة قصير مهما طال مجدهم كزهر الشعب مهما أزهق فلا بد أن يذبل، كل فخر وزينة الدنس، النجاسة تتحول إلى عفونة وكراهة نفس... ولكن قد يحسب قوم أن الرب يتباطأ في الدينونة عندما يرون الأشرار في ازدهار... ولكن القديس بطرس الرسول يعلمنا أنه ليس كما يظن أصحاب هذا الفكر ولكن الرب لا يبطل في قدومه. والقديس بولس الرسول يعزي طول أناة الله وعدم سرعة قضائه إلى أن الله بهذه الطريقة يفتاد النفوس إلى التوبة بطول أناة وإمهاله.

وحي من جهة موآب:

لكن هل توجد في موآب أذن صاغية لكلمة الرب؟ هل يوجد بين الموآبيين من يسمع هذا الوحي؟ إن الله الحنون يلقي بذار كلمته لكل أحد، ولكل أرض... وهو يعلم سابقاً نوعيات الأرض التي يلقي فيها بذار كلمته إن كانت طريقاً أو أرضاً محجرة أو بها أشواك أو أرضاً جيدة ولكن رغم كل هذا فهو يلقي بذاره... ولا يجرمها من كلمته لعلها تعطي ثمراً... عجيب هو الرب إلها الذي لا ييأس من خلاص أحد... حقاً فتيلة مدخنة لا يطفى وقصبة مرضوضة لا يقصف وإن لم يكن من يسمع أو يصغي لكلمة الرب في موآب فإن الرب يتكلم إلى شعبه ومختاربه لكي يكون لهم عبرة بدينونة الخطية لكي يطمئنهم من جهة أخرى من نحو نهاية زمن الأشرار ولكي يثبت إيمانهم من نحو مواعيده الصادقة والأمانة. ومن ناحية أخرى فإن الرب لا يخفي أمراً يصنعه إلا ويرى عبده الأنبياء (عاموس).

وكما قيل في التكوين عندما قلبت سدوم: "هل أخفي عن عبدي إبراهيم ما أنا صانع" فالرب يعلن أسراره لخائفيه ويعلن مشيئته لأولاده من أجل المحبة التي أحبهم بها.

١. "وحي من جهة موآب: إنه في ليلة خربت عار موآب وهلكت. إنه في ليلة خربت قير موآب وهلكت".

عار وقير هما أفرح مدن موآب، وكلمة "عار" اسم سامي معناه (مدينة) وهي على مسافة ١٤ ميلاً جنوبي نهر أرنون...

"قير": اسم معناه (سور) (أو مدينة ذات سور).

هنا الذهن المتفتح يقف أمام كلمة في ليلة. فمن جهة فإن هذه المدن التي بنيت في سنين وبذل فيها الموآبيون كل مجهوداتهم ووضعوا فيها كل مهارتهم وجعلوها مدناً لمسراتهم وتعييدهم... وضعوا فيها سنين هذا مقدارها يُقال عنها إنها ليلة تخرب وتهلك.

نعم إن سراج الأشرار ينطفئ والشيرير يعبر فلا يُعرف مكانه بعد وكأنه لم يكن.

أين هذه المدن؟ في ليله تخرب وتهلك فلا توجد، إن البيوت التي لم تؤسس على صخرة الدهور لا تستطيع أن تقف أمام الرياح ولكنها تسقط وسقوطها عظيم... هكذا سريعًا في ليلة.

ومن جهة أخرى فإن الليل يشير دائمًا إلى سلطان الظلمة وسواد الخطية وظلمة الموت. هكذا يكون هلاك الأشرار في ليلة إذ ليس لهم فجر وليس لهم شمس البر من نصيبهم، لذلك يفاجئهم ذلك اليوم كالمخاض للحبلى فلا ينجون. لهذا قيل عن أولاد الله إنهم ليسوا من ليل ولا من ظلمة بل جميعهم أبناء نور وأبناء نهار.

وقيل أيضًا لستم من ليل حتى يفاجئكم ذلك اليوم بغتة لذلك لنحرص أن نسلك في النور مادام لنا النور لئلا يدركنا الظلام.

٢. "إلى البيت وديُّون يصعدون إلى المرتفعات للبكاء. ثُولول موآب على

نبو وعلى ميدبا. في كل رأس منها قرعة كل لحيمة مجزوزة".

٣. "في أزقتها يأتزرون بمسح. على سطوحها وفي ساحاتها يُولول كل

واحد منها سيالاً بالبكاء".

إن المرتفعات كانت هي مكان العبادة الوثنية وكانوا يبنون مذابح الآلهة على المرتفعات ويذبحون هناك على المرتفعات ويمارسون أعمال النجاسة التي كانت تعتبر من ضمن طقوس العبادات الوثنية...

وهنا في يوم العقاب عندما يفاجئهم الهلاك بغته يهربون إلى البيت (أي بيت الإله كموش) ويصعدون إلى المرتفعات حيث السارية المرتفعة وحيث تمثال الآلهة. وهناك يبكون لعلهم يجدون نجاتهم وخلصًا، حينئذ يلجأون إلى كهنة الأوثان ذوي الرأس المقصوص الشعر مستديرًا بحسب طقس كهنة الوثن وذوي اللحي الطويلة ولكن أين الخلاص من كل هذه الأمور؟

بعيد هو الخلاص عن الخطاة الذين جعلوا رجاءهم في الكذب فلا البكاء أمام الصنم يجدي، كما حدث في أيام إيليا النبي حينما جمع أنبياء البعل بكامل عددهم ٨٥٠ وأمرهم أن يقدموا ذبيحة وكانوا يصرخون أمام البعل من الصباح إلى المساء

ويقطعون أنفسهم أمامه قائلين: يا بعل أجبنا فلم يكن مصغ لأن سامع الصلاة هو واحد وصانع الخلاص هو واحد الذي قيل عنه: "التفتوا إليه واخلصوا"، على هذا المنوال يكون جميع الذين جعلوا رجاءهم في غير المخلص يسوع المسيح لأنه ليس بأحد غيره الخلاص.

ماذا ينفع الصنم عندما تأتي الضيقة عقاباً للدينونة؟

إن الوثن صنعه الإنسان لأوقات سرور وملذات الجسد وسائر الانحرافات ولكن لصفة رسمية ليس فيها ملامة وتبكيث.

مثلاً طلب بنو إسرائيل من هارون أن يصنع لهم عاجلاً ذهبياً لكي يأكلوا أمامه ويذبحوا ويزنوا ويعزلوا من آمالهم إله إسرائيل ووصاياه التي تقف حائلاً منيعاً ضد شهوات الجسد وضد الفساد والدنس.

ألا يوجد مثل هذا الصنم اليوم في قلوب كثيرة، الذي يدفع الإنسان إلى شهوات الجسد مع مبررات مرضية للضمير... صنم الطمع في العالم والمال والسعي وراء الشهوة والصيت والذهاب وراء الجسد في النجاسة والطمع... إنها أصنام كثيراً ما يتعبد لها الناس ويوهمون أنفسهم أن إلههم الجديد هذا هو مصدر السعادة... ولكن يا للحنن الذي يصيب هذه النفوس في وقت الدينونة ويا لخيبة الأمل عندما يرون كل هذه المسرات تتحطم في لحظة من الزمان...

أما كهنة الأوثان الذين اختبأوا وراء المظهر الكاذب من شعر الرأس وشعر اللحية والثياب فياللعار الذي يلحقهم حينما تصير على كل رأس قرعة وكل لحية مجرزة سيصيرون في خزي عظيم لهم ولجميع الناظرين إليهم الذين وضعوا رجاءهم عليهم...

في أزقتها يأتزرون بمسح. على سطوحها وفي ساحاتها يُولول كل واحد منها سيئالاً بالبكاء.

لا فرق بين من في الأرض أي الفقراء والضعفاء والمطمورين ولا من هم في الساحة الظاهرين والمعتبرين. ولكن الغضب سيشمل الجميع بلا استثناء...

كل واحدٍ منها سيالاً بالبكاء .. أي بكائهم كالسيل شديد وجارف... ولكن أي بكاء إنه بكاء بعد فوات الأوان... مثل بكاء عيسو الذي طلب التوبة ولم يجدها رغم أنه طلبها بدموع. إن دموع التوبة هي وحدها تستطيع أن تتجي من دموع الديونة.

٤. "وَتَصْرُخُ حَشْبُونٌ وَالْعَالَةُ. يُسْمَعُ صَوْتَهُمَا إِلَى يَاهَصَ. لِذَلِكَ يَصْرُخُ مَتَسَلِّحُو مَوآبَ. نَفْسُهَا تَرْتَعِدُ فِيهَا.

٥. يصرخ قلبي من أجل موآب. الهاربين منها إلى صوغر كعجلة ثلاثية، لأنهم يصعدون في عتبة اللوحيث بالبكاء، لأنهم في طريق حوروناييم يرفعون صراخ الانكسار".

يتميز هرب الموابيين هذا بالصراخ الشديد حتى إنه يسمع صوتهم من مدينة في مدينة أخرى... ولك أن تتخيل مدى شدة الصراخ... ولكنه صراخ آلام.. صراخ انكسار مملوء مرارة وقسوة.

هناك وقت يصرخ فيه الإنسان بالتوبة فيستجاب له. الصديقون صرخوا والرب استجاب لهم ومن جميع مخاوفهم نجاهم.. هناك صراخ الصديقين وتهدد البائسين الذي من أجله يقوم الله ويصنع الخلاص علانية هناك صراخ يسمعه الله لأنه من قلوب محبة لله ولها دالة عنده.

أما صراخ الأشرار في يوم دينونتهم فلا يلتفت إليه حينئذ تنوح كل قبائل الأرض.

هذا وقت دينونة ومكان الصراخ والعيول إلى أبد الدهر لأن هناك البكاء ورعدة الأسنان.

وهم يهربون من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى أخرى لعلهم يجدون نجاة لأنفسهم ولكن إلى أين الهرب؟ وكيف يفلتون من الديونة؟

قيل عن اليوم الأخير: "يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا" ولكن لا يحدث هكذا، لا هروب من الديونة بل يد الله ستلحق بالأشرار أينما كانوا.

هل استطاع أحد أن يهرب من الطوفان حينما حدثت دينونة الفجار في أيام نوح؟

هل استطاع أحد أن يهرب من النار التي باغتت سدوم وعمورة حينما حكم الرب عليها بالحرق في أيام لوط؟
وهكذا لا يستطيع أن يهرب أحد من الدينونة حينما يأتي زمان دينونة الخطاة وهلاك الناس الأشرار.

٦. "لأن مياه نمريم تصير خربةً، لأن العُشب يبس. الكالأ فني. الخُصرة لا توجدُ.

٧. لذلك الثروة التي اكتسبوها وذخائرهم يحملونها إلى عبر وادي الصّفاف.

٨. لأن الصّراخ قد أحاطَ بتخوم موآب. إلى أجلايم ولولتّها. وإلى بر إيليم ولولتّها.

٩. لأن مياه ديمون تمتلئ دماً، لأنني أجعل على ديمون زوائد. على النّاجين من موآب أسداً وعلى بقية الأرض."

المياه تصير خربة والعشب يبس، الكالأ يفنى - الخصرة لا توجد. هذه مظاهر الخراب التي تصيب بلاد موآب فإن كانت الدينونة تنصب على البشر الخطاة الذين استجلبوا الغضب بسوء أفعالهم فليكن معلوماً إن ظل الخطية وخرابها يقع على كل شيء حتى الأمور المادية التي لا تعقل فإنها تقاسي هي أيضاً من جراء خطية الإنسان.

تأمل كيف دخل الموت قديماً إلى العالم وكيف صار العالم كله تحت سلطان الظلمة وكيف أن الخليقة كلها صارت تئن وتتمخض معاً.

آه لو علم الإنسان أن خطيئته سوف تضرم بالنار الدائرة التي حوله بمن فيها ومما فيها.

إن هذه الأمور يهبها الله صانع الخيرات على الإنسان في أرض غربته. فهو يعطيه الماء والعشب والكأ والخصرة لخدمة البشر، ولكن كثيراً ما تمنع خطايا الإنسان الخيرات الزمنية أيضاً مثلما حدث مرات كثيرة في التاريخ القديم فقد أغلقت السماء ثلاث سنين وستة أشهر في أيام إيليا النبي بسبب خطايا أخاب الملك وإيزابيل

امراته وانتشار عبادة البعل في ذلك الزمان... كما حدثت مجاعات مرات كثيرة بسبب كثرة الخطايا والزيغان عن الرب الإله.

ويكفي أن نتأمل البركات الواردة في (تث ٢٨)، إذا سمع الشعب لصوت الرب وحرص على العمل بوصاياه.

ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه تأتي عليك جميع اللعنات... ملعونًا تكون في المدينة وملهونًا تكون في الحقل.. ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك.. وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاسًا والأرض التي تحتك حديدًا ويجعل الرب مطر أرضك نادرًا وهكذا يكمل الحديث عن الضربات التي تصيب الأرض لا تزرع ولا تثبت ولا تطلع فيها عشب ما كانقلاب سدوم وعمورة (تث ٢٩).

على أننا نلفت الذهن إلى إنه إن كانت هذه هي نتائج الخطايا وعقوبتها في العهد القديم حيث كانت تصيب الإنسان في صميم جسده الأمراض والأوبئة والسيوف والجوع والسبي والرعب والموت إلى آخر هذه الأمور وهكذا الأرض يقع عليها ظل الخطية أيضًا من بوار وجفاف وقفر وخراب... فإن هذه الأمور هي ظل الحقيقة التي تكون عليها النفس حينما تترك الله وتبعد عن إله خلاصها فيصيبها موت الخطية وغضب الدينونة ولكن في صميم الكيان الروحي الداخلي حيث تصير النفس خربة وخاوية وتصبح في جفاف وقفر من كل سلام وقداسة وفرح ومحبة ونعمة...

فإن كانت الأمور الأولى مخيفة للجسديين إذ تنهي على رجائهم فكم تكون الأخيرة مفزعة للروحيين الذين يجب أن يكونوا في كل تقوى وعفاف ويعيشون كما يحق للدعوة التي دعوا إليها ليفوزوا بالميراث السعيد والملكوت المعد لهم قبل إنشاء العالم.

الأصحاح السادس عشر

١. "أرسلوا خرفانَ حاكمِ الأرضِ من سَالِحَ نحو البريةِ إلى جبلِ ابنةِ صهيون.

٢. ويحدُّثُ أنه كطائرِ تائهٍ، كفراخِ مُنْفَرَةٍ تكونُ بناتِ موآبِ في مَعابِرِ أرنونٍ".

بعد أن تنبأ إشعياء النبي من نحو بلاد موآب من جهة الخراب الذي يحل بها والعباقب الذي ستكابه يعود فيقول لأهل موآب الباقيين والناجين من السيف... أرسلوا الجزية لحاكم الأرض هناك في جبل ابنة صهيون.. ويصف بنات موآب كطائر تائه وكفراخ منْفَرَةٍ.

كطائر تائه... كفراخ منْفَرَةٍ...

أين هذا المنظر المفزع من أولاد الله الذين يتمتعون بالرب ويستظنون بظل جناحية... إن احتماء أولاد الله تحت صليب ربنا يسوع المسيح هو وحده الذي يحميهم من هذا الفزع وهذا الصياح... لقد عرض الرب نفسه على أورشليم قائلاً: "كم مرة أردت أن أجمع أولادكِ كما يجمع الطائر فراخه تحت جناحية ولم تريدوا. هوذا بينكم يترك لكم خراباً".

إذا الخراب والبوار هو نصيب أولئك الذين لم يتمتعوا بالرب ليحتموا تحت ظل جناحيه.

٣. "هاتي مشورةً، اصنعي إنصافاً، اجعلي ظلكِ كالليل في وسط الظهيرة، استُري المَطْرُودينَ، لا تُظهري الهاربينَ.

٤. ليتغربَ عندكِ مطرُودو موآب. كوني ستراً لهم من وجه المخرَّبِ، لأن الظالم يبيدُ، وينتهي الخرابُ، ويفنى عن الأرض الدائسونَ.

٥. فيثبَّت الكرسى بالرحمةِ، ويجلسُ عليه بالأمانة في خيمةِ داود قاضٍ، ويطلبُ الحقَّ ويبادرُ بالعدل.

هنا يرسم الوحي الإلهي أيقونة النجاة لكل شعوب الأرض ويفتح أمامهم باب الرجاء للهروب من مظالم الأرض وللالتجاء للرحمة الإلهية.

خيمة داود:

لكن الوحي هنا يشير بالأصبع إلى خيمة داود ويظهرها مكانًا للنجاة والحياة بحسب النبوات وهى أن الله سيرجع ويبني خيمة داود الساقطة وسيقوم ردمها. ويوجه الوحي النظر إلى كرسي مملكة داود لكي يطلب الذين يريدون النجاة المخلص ابن داود الذي يجلس على كرسي داود أبيه ولا يكون لملكه نهاية كبشارة جبرائيل الملاك وحينما يركز الوحي الإلهي النظر حول خيمة داود الجديدة (الكنيسة) والجالس على كرسي ملكه "يسوع المسيح ابن داود حسب الجسد" يؤكد الوحي زوال الظالم المتعطرس ونهاية سلطان الظلم وزمن الخطية ونهاية المخرب وفناء دائسي الأرض. وليس أمام بني موآب وبنات موآب والذين مثلهم سوى الهروب إلى خيمة داود لكي ينعموا بالحق والعدل والرحمة التي هو قوام كرسيه كقول داود في المزمور: "العدل والحق قوام كرسيه" على هذا تكون هذه بشارة للغنم المطروحة في كل زمان ومكان ولا راعي لها.

وللفراخ المنفردة التي تفترق إلى ظل الجناحين والدفء والحماية والرعاية الإلهية وللنفوس المشتتة والتائهة والمطروحة من قسوة الظالم ومهلك النفوس روح الظلمة... لقد أقام الرب خيمة داود في جبل ابنة صهيون أورشليم الجديدة وفتح أحضانه للموآبيين لكي يطلب الباقون من الناس الرب وليحتموا في ظل جناحيه ويخلصوا.

٦. "قد سمعنا بكبرياءِ موآب المتكبرّة جدًّا عظمتها وكبرياتها وصلفها

بطل افتخارها.

٧. لذلك تُؤلول موآب. على موآب كلها يؤلول. تئنون على أسس قير

حارسة، إنما هي مضروبة.

٨. لأن حُقول حشِبون ذُبلت. كرمة سبمة كسر أمراء الأمم أفضلها.

وَصَلَّتْ إِلَى يَعْزِيرَ. تَاهَتْ فِي الْبَرِيَّةِ، امْتَدَّتْ أَغْصَانُهَا، عَبَّرَتِ الْبَحْرَ".

الكبرياء أصل الداء :

أصل الداء الكبرياء إن كان في الشعوب أم في الفرد الواحد لقد تكبرت موآب ولقد ازهرت عصا كبريائها حتى سُمعت أخبار كبريائها فيما حولها وحتى قال الوحي إنها متكبرة جدًا ولا يوجد شفاء من الكبرياء إلا الانكسار والسحق لذلك فإن المسيح المبارك عندما أراد أن يشفي كبرياء الإنسان اتضع حتى المذود والصليب والقبر وهكذا يرسم طريق الخلاص أمام أمراض موآب الكبرياء والعظمة والصلف والافتخار الباطل هذه كلها ستتحطم حتى لا تعود تذكر ويكون بدل الكبرياء المذلة وبدل صوت الافتخار نحيب وأنين وبدل عظمة القلب انكسار النفس.

فالأفعال المضادة للكبرياء التي تقرأها في هذه الآيات هي في الواقع أسلحة شفاء لمن يريد شفاء وهي دينونة للذين يسلكون طريق موآب إلى النهاية.

تولول... تئن - يكسر أفضلها - أنزع الفرح... هذه الأفعال هي حكم ودينونة

للكبرياء والصلف أليس مكتوب "قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح".

أما الذين يمارسون أفعال الاتضاع والمسكنة والانكسار ومذلة النفس هنا فلا يقعون تحت الدينونة ولا يكابدون مثل هذه لأن الذين يزرعون بالدموع هنا يحصدون بالابتهاج هناك... إن الذين يقبلون أن يكونوا مطرودين مكروبين مُذلين... الذين هربوا من الكرامة والافتخار الباطل والكبرياء القاتل. هؤلاء ستكون نهايتهم حياة أبدية وفرح وسيبدل الرب أحزانهم في هذا العالم إلى مجد... ويعطيهم بدل ثياب المسكنة روح الفرح يلبسونه إلى أبد الدهر... ويمسح الله كل دمعة من عيونهم.

ولكن ما معنى تكرار هذه الأوجاع وتردد ذكرها بعد أن فتح الرب باب الرجاء وطريق النجاة في مظلة داود وفي جبل ابنة صهيون لتكون سترًا من وجه المخرب وملجأ ومخبأ من الهلاك... الواقع إن الكبرياء هي التي ترفض الصليب ولا تقبل المذود ولا ترضى بالمسيح طريقًا لأنه طريق الاتضاع الكامل... لذلك فإن الكبرياء تسد أمام الإنسان طريق الخلاص...

وموآب ماضية في كبريائها وعظمتها الكاذبة فلا سبيل لها سوى الانكسار

والويل.

٩. "لذلك أبكي بكاء يعزير على كرامة سبمة. أرويكما بدموعي
يا حشبون وأعالمة، لأنه على قطافك وعلى حصادك قد وقعت
جلبة.

١٠. وانتزع الفرح والابتهاج من البستان، ولا يعنى في الكروم ولا يترنم،
ولا يدوس دأس حمرًا في المعاصر. أبطلت الهتاف.

١١. "لذلك ترن أحشائي كعود من أجل موآب وبطني من أجل
قير حارس".

إن الحصاد وجني الثمار كانا دائمًا مصدر الفرحة والبهجة في حياة الشعوب
القديمة، فكل أيام السنة كانت تحسب لا شيء أمام أيام الحصاد وجمع المحاصيل
إلى المخازن من قمح وشعير، ثم جني الثمر زيتون وعب وتين... وكانت تتبع
الحصاد دائمًا أعمال العصير للحصول على الزيت والخمر للبهجة وفرح القلب...
وكانت ترتبط أيام الحصاد بالأفراح والزيجات والاحتفالات وتقديم القرابين والعبادات...
ولكن موآب كرس حصاد سنين كثيرة للكبرياء فكثرة المحاصيل زادت غرورًا ووفرة
الغلات تحولت إلى افتخار باطل مثل الغني الغني... وتحولت أفراح الحصاد كلها
لتخدم شهوات القلب المنحرفة والرغبات المريضة وعبادة كموش الوثن البغيض...

فماذا كان ينتظر موآب بعد ذلك؟

تتحول أفراح الحصاد إلى بكاء ونوح... بل يقول أرويكما بدموعي أي دموع

غزيرة هذه!؟

يا ليت الكرمة والزيتون كذبت ولم تعط ثمرًا إذا لكان الأمر محتملاً... ولكنهما
ثمرًا وجاء وقت الحصاد والشجر محمل بثمر كثير وهنا امتدت يد العقاب والدينونة
لتزيد موآب حزنًا على حزن وتحول الأيام المتوقعة الفرحة إلى مناحة عظيمة تمامًا كما
قال الرب عن الإنسان الذي هو غني لنفسه وليس غنيًا لله... فعندما أثمرت كورة هذا
الغني بكبرياء القلب قال: "يا نفسي استريحي وكلي واشبعي لأن لك خيرات كثيرة
لسنين عديدة"... فجاء الصوت: "يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك والذي أعدده

لمن يكون".

أما أولاد الله فيقولون: "ليس أحد ما يعيش لذاته لأننا إن عشنا فللرب نعيش...".
فيأتي الصوت: "ادخل إلى فرح سيدك".

١٢. "ويكون إذا ظَهَرَتْ، إذا تَعَبَتْ مَوَّابٌ عَلَى الْمُرْتَفَعَةِ وَدَخَلَتْ إِلَى
مَقْدِسِهَا تُصَلِّي، أَنِهَا لَا تَفُوزُ".

ترى أمام من ظهرت مَوَّابٌ وأمام من تسكب شكواها من تعبها؟ وعلى أي جبل
مرتفع صعدت؟ وأي مقدس هذا الذي تصلي فيه؟

من أجل إنها في ضيقها التجأت إلى الصنم ولم تلتفت إلى الرب إله إسرائيل
المخلص فإنها لا تفوز... لتعلم مَوَّابٌ أنه ليس بأحد غيره الخلاص. وأنه قد كثرت
أمراضهم الذين أسرعوا وراء إله آخر وأنه ليس إله آخر ينجي هكذا (دا ٣) وأنه ليس
اسم آخر تحت السماء أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص إلا اسم يسوع المسيح.

مرتفعات الشر:

ومن أجل أنها ارتفعت على مرتفعات الشر والدنس فإنها تنخفض ولا تفوز
برحمة ولا غفران... والأجدر بها أنها كانت تصعد إلى جبل ابنة صهيون وتدخل إلى
مقدس الله الحقيقي ولا تخدع نفسها إنها دخلت إلى مقدسها وموضع صلاتها
وتقدمتها... فلتعلم مَوَّابٌ أنه ليس بمقدس ولا هي صلاة هذه التي ترفعها...
ولا تصل أُنَاتِهَا إِلَى أذني رب الجنود.

يا لعز الأبرار الذين صرخوا إلى الرب والرب استجابهم... ويا لنعيمهم حينما
استغاثوا به في ضيقهم فوجدوه "إن طلبتموه يوجد لكم تدعو فيستجيب الرب تستغيث
فيقول هأنذا...".

حقًا يخزي جميع المتكلمين على صنعة الأيادي أما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء
من الخيرات بل في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته يخلصهم.

١٣. "هذا هو الكلام الذي كلم به الرب مَوَّابٌ منذ زمان.

١٤. والآن تكلم الرب قائلاً: في ثلاث سنين كسني الأجير يُهان مجد

موآب بكل الجمهور العظيم، وتكون البقية قليلة صغيرة لا كبيرة".

يبدو أن إشعيا النبي نطق بهذه النبوات نحو بلاد موآب منذ زمن كثير ويبدو أيضًا أن إنذارات الرب قد تكررت كثيرًا منذ وقت ليس بقریب... ولكن لم يحدث شيء ولم يتغير أمر من الأمور وقد كان أهل موآب من الذين كتب عنهم القديس بطرس الرسول في رسالته الثانية إنهم مستهزئون وسالكون بحسب شهوات أنفسهم وقائلين أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باق هكذا من بدء الخليقة... ولكن القديس بطرس يقول إن هذا يخفي عليهم بإرادتهم وحدهم إذ هم مظلمو الفكر متجنبون عن معرفة الحق.... ثم يكمل قائلاً: لا يتباطأ الرب عن وعده كما يجب قوم التباطؤ لكنه يتأني علينا وهو لا يشاء إن يهلك أناس بل يقبل الجميع إلى التوبة... وهي إذًا أناة الله التي كانت تنتظر قديمًا في أيام نوح حين كان الفلك يبني وهي التي انتظرت على سدوم... وهو إمهال الله الذي كتب عنه القديس بولس الرسول ألا يستهن أحد بإمهال الله ولطفه وطول أناته غير عالم أن لطف الله يقتادك إلى التوبة.

الدينونة:

لكن موآب مضى في قساوة قلبه غير التائب غير مكترث بإنذارات الله فعاد إشعيا النبي ينطق بنبواته على موآب ولكنه هذه المرة حدد زمانًا لقساوة القلوب والرقاب قائلاً: إنه في ثلاث سنين كسني الأجير وهنا يقصد الوحي الإلهي ألا يزيد يوماً واحدًا عن الميعاد المحدد للدينونة والقضاء...

لن يتباطأ الرب وكما أن الأجير يُسر بانتهاء يومه لكي يستريح ولا يتعدى ميعاده ولو بساعة واحدة هكذا يكون قضاء موآب في وقته المحدد من قبل الرب. ويكن مما يدعو للعجب من تدابير الله إنه في هذا الكلام أيضًا يعطي مهلة ثلاث سنوات لعلهم يتوبون ويندمون ويرجعون عن خطاياهم...

مثلما قال الرب بقم يونان: "بعد أربعين يومًا تنقلب نينوى" ولم يكرز يونان في المدينة سوى مسيرة يوم واحد حتى تاب الجميع ورجع كل واحد عن طريقه الردية وعن الشر الذي في أيديهم فندم الرب عن الشر ورجع عن حمو غضبه.

لطف الله وإمهاله:

يا لغنى لطف الله وإمهاله وطول أناته، ليكون لنا في أناة الله سبب خلاص ونجاة من الغضب والدينونة "احسبوا أناة ربنا خلاصًا".

أخيرًا يندهش الإنسان من معاملات الله حيث يقول الرب إنه سيبقي بقية قليلة لا كثيرة... حتى وإن سكب حمو غضبه لكنه يبقي بقية شهادة لنفسه... ألم تثبت راعوث الموابية قديمًا إنها جاءت من أرض مواب لتحتمي تحت ظل جناحي إله إسرائيل... لذلك ينظر الله إلى أمثال راعوث في مواب ليخلصهم ويضمهم إلى شعبه ومختاريه في كل زمان وفي كل مكان.

الأصحاح السابع عشر

١. "وحي من جهة دمشق: هوذا دمشق تُزال من بين المدن وتكون رُجمة ردم".

ليس من بين مدن الشرق مدينة يتحدث عنها التاريخ القديم أنها هدمت وأعيد بناؤها عدة مرات مثل دمشق.

وهذا ما يذكره مؤرخون كثيرون... لقد هدمت دمشق في سنوات متقاربة مرتين ما بين ٨٤٣ قبل الميلاد عندما هاجمها شلمناصر وهزم حزائيل ملكها. ومرة أخرى عندما تحالف رصين ملك آرام (دمشق) وفتح بن رمليا ملك إسرائيل ضد يهوذا فاستتجد آخاب ملك يهوذا بتغلت فلاسر ملك آشور (٧٣٢ ق.م) فجاء وهدم دمشق للمرة الثانية بقسوة وقتل رصين ملكها وقاد أهلها إلى السبي (٢ مل ١٦: ٥-٩؛ إش ٧: ٨؛ عا ١: ٥).

وهكذا أيضًا بعد الأشوريين هاجمها الكلدانيون ثم الفرس واليونانيون والمقدونيون. هكذا تحقق هذا الوحي من جهة دمشق في هدمها وتحولها إلى رجمة ردم.

٢. "مدن عروعيم متروكة. تكون للقطعان، فتربض وليس من يخيف".
٣. ويزول الحصن من أفرائيم والمُلك من دمشق وبقية آرام. فتصير كمجد بني إسرائيل، يقول رب الجنود".

اقتران اسم دمشق وأرام:

إننا هنا نجد اسم دمشق وأرام مقترنًا بإسرائيل وأفرائيم في الهوان ووقوعهما تحت الدينونة ووصولهم إلى المذلة والخراب ولو تتبعنا التاريخ المقدس لوجدنا من القديم أن لعازر الدمشقي كان خادمًا لإبراهيم أبي الآباء وهو الموكل على كل بيته... وهو الذي أرسله ليخطب امرأة لابنه إسحق...

لوجدنا أن نعمان السرياني في أيام أليشع جاء إلى إسرائيل وحصل على نعمة لم يحصل عليها أحد سواه... حتى أن رب المجد يسوع قال: إن برصًا كثيرين كانوا في أيام أليشع ولم يبرأ أحد سوى نعمان السرياني وقد تحالف ملك آرام مع ملك إسرائيل

آخاب في الشر وفي الخطايا والمؤامرة.

وفي الإنجيل المقدس ذُكرت المرأة الكنعانية وهي سورية كما حصل كثيرون من نواحي دمشق على الخلاص.

وبالقرب من دمشق ظهر الرب لشاول الطرسوسي.

ودعي التلاميذ مسيحيين أولاً في دمشق.

وهكذا كما أهان الزمان الأول هذه المناطق والبلاد... وكما عمَّها الخراب والدمار كأثر لسلطان الخطية وملكوت إبليس... فإن إشراق الإنجيل جعل اسم دمشق يقترن بإسرائيل الجديد وصار مختارو الله من كل أمة تحت السماء. وكما هُدمت دمشق وصارت رجمة وردمة بسبب الخطية لأنها كانت مبنية على الرمل "السطحيات وبُطل وزيف هذا العالم وتراب الجسد بلا أساس".. هكذا صار من دمشق حجارة حية مبنية على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية... بناء روعي لا يهدم ولا يقلع إلى أبد الدهور.

٤. "ويكون في ذلك اليوم أن مَجْد يعقوب يُذَلُّ، وَسَمَانة لَحْمِه تَهْزُل".

٥. "ويكون كَجَمْع الحَصَادِين الزَّرْع، وَذَرَاْعُهُ تحَصِدُ السَّنَابِلَ، ويكون كَمَنْ يَلْقُطُ سَنَابِلَ في وادي رفايم".

٦. "وتبقى فيه خُصَاَصَةٌ كَنَفُصُ زَيْتُونَةٍ، حَبَّتَانِ أو ثَلَاثٌ في رَأْسِ الفَرْعِ، وَأَرْبَعٌ أو خَمْسٌ في أَفْئَانِ المَثْمِرَةِ، يقول الرب إله إسرائيل".
هل تبقى لإسرائيل بقية.

عندما يأتي وقت الحصاد... وقد عاش إسرائيل يزرع للجسد ويجاري أهل العالم ويتحالف مع الوثنيين ويبنّي مرتفعات للأوثان ويذبح لها... إلى آخر هذه الأمور... عندما يأتي وقت الحصاد فهل تبقى لإسرائيل بقية؟ من مراحم الرب فقط ومن عمل نعمته أنه أبقى بقية ليعقوب يقول: "أن مجده يُذَلُّ وسمانة لحمه تهزل ولكنه لا يفنى ولا يهلك إلى الأبد" بل سيوجد فيه قلة وبقية لله شاهدة لعمل نعمته.

وإن كانت القلة قليلة جداً ولكن وجودها بركة للأرض كلها... ويمثلها الرب في

النبوات كحبات الزيتون وكثمرات قليلة من الزرع وهى من القلة بحيث يمكن حصرها بأقل من أصابع اليد الواحدة.

وقد كان كذلك عند مجيء الرب يسوع إلى العالم.. قليلون هم الذين انتظروه وأدركوا مراحمه... سمعان الشيخ - حنة النبية - زكريا الكاهن - أليصابات - نيقوديموس - يوسف الرامي... كانوا نفوسًا قليلة كحبات في الزيتون الأصيلية وهى تكاد تكون قد جفت وأغصانها على وشك أن تقطع وقد وُضعت الفأس على أصل الشجرة في ساعة الحصاد... وقد جاء الرب ينقي بيده ورفشه في يده في مجيئه...

٧. "في ذلك اليوم يَلْتَفِتُ الْإِنْسَانُ إِلَى صَانِعِهِ وَتَنْظُرُ عَيْنَاهُ إِلَى قَدُوسِ إِسْرَائِيلِ.

٨. وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْمَذَابِحِ صَنَعَةِ يَدَيْهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَا صَنَعَتْهُ أَصَابِعُهُ: السَّوَارِي وَالشَّمْسَاتِ.

٩. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَصِيرُ مُدْنُهُ الْحَصِينَةُ كَالرَّدَمِ فِي الْغَابِ، وَالشَّوَامِخُ الَّتِي تَرْكُوهَا مِنْ وَجْهِ بَنِي إِسْرَائِيلِ فَصَارَتْ خَرَابًا".

وفي اليوم الذي يمد الرب يده ليقبلي ميراثه... في يوم الافتقاد حينما افتقدنا مشرفًا من العلاء... يُقال إن في هذا اليوم يلتفت الإنسان إلى صانعه فيجده مخلصًا وفاديًا نفوس عبده. وفي ذلك اليوم يُقال: "التفتوا إليه واخلصوا يا جميع الأمم" - الرب المتجسد وحده هو الذي يجذب النظر - أما مذابح صنعة اليد والسواري والشمسات والمدن الحصينة والشوامخ فتسقط في نظر الإنسان لأن الرب سيحول قلوبهم رجوعًا إلى شخصه وفي بهاء مجده تذوب هذه الأمور البالية، وفي بهاء مجد تواضعه تنخس الشوامخ، وأمام مذوده تتدك عروش الملوك. وأمام صليبه تنهار حصون الخطية وكل عبادة الأوثان المرذولة السواري والشمسات حقًا ما لم يشرق الرب على قلب الإنسان فإن الظلمة تظل تملك بسلطانها بأساليب مختلفة وطرق متنوعة.

١٠. "لَأَنَّكَ نَسِيتَ إِلَهَ خَلَاصِكَ وَلَمْ تَذْكُرِي صَخْرَةَ حِصْنِكَ، لِذَلِكَ تَغْرَسِينَ أَغْرَاسًا نَزْهَةً وَتَنْصِبِينَ نَصَبَةً غَرِيبَةً.

١١. يوم غَرَسِكَ تُسَيِّجِينَهَا، وفي الصّباح تجعَلين زرعَكَ يُزْهِرُ. ولكن
يَهْرُبُ الحَصِيدُ في يوم الضَّرْبَةِ المُهْلِكَةِ والكَآبَةِ العَدِيمَةِ الرّجاء".

هنا يعود الوحي يبيكت مملكة إسرائيل ويذكرها بخطاياها ويركز على أنها نسيت
الرب ولم تذكر صخرة حصنها.

يا للخسارة الجسيمة والضرر البالغ الذي يلحق بها عندما تنسى الرب
ولا تذكره إنه صخرها وحصنها الحصين الذي تركض إليه وتتمنع فيه.

إن الرب القدوس أكد لها مرارًا أنه لا ينساها... حتى إن نسيت الأم الرضيع هو
لا ينساها... وقد قال لها على كفي نقشتك، أسوارك أمامي دائماً (إش ٤٩) وقد أقام
على أسوار أورشليم حراسًا لا يسكتون كل النهار وكل الليل.

فما بالها تنسى إلهها!؟

إن طبع الإنسان هو النسيان... نسيت بعل صباها... نسيت عزها الأبدي الذي
صنع معها إحسانات لا تُحصى... نسيت أنه أحبها فضلاً وقد كانت عريانة
وعارية... نسيت إنه أخرجها من كور الحديد وبذراع رفيعة ويد شديدة...

ولكن كيف يكون هذا؟

لقد انشغلت عنه بذاتها واتكلت على جمالها... وانشغلت بقوتها وقالت ذراعي
خلصت لي وانشغلت بآلهة أخرى وقالت هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من
أرض مصر.

فماذا تكون النتيجة؟

إنها تزرع للريح وتجمع للعواصف...

إن زرعها يكون كالمزروع في الأماكن المحجرة الذي ينمو سريعًا ولكن ليس له
عمق أرض بل قساوة حجر فحينما تطلع عليه الشمس تيبس أو إن زرعها يكون مثل
عشب السطوح الذي ييبس قبل أن يقطع الذي لم يملأ الحاصد منه يده ولا الذي يجمع
الغمور حصنه.

هذه هى أجرة الذين نسوا الرب وجعلوه وراء ظهورهم وحولوا له القفا
لا الوجه وأعطوه كتفا معاندة وعزلوا من وسطهم قدوس إسرائيل.

١٢. "آه! ضجيج شعوب كثيرة تضحُّ كضجيج البحر، وهدير قبائل
تهديرُ كهدير مياهٍ غزيرةٍ.

١٣. قبائل تهديرُ كهدير مياهٍ كثيرةٍ. ولكنه ينتهرها فتَهْرُبُ بعيداً،
وتُطردُ كعصافاةِ الجبال أمام الرِّيح، وكالجُلِّ أمام الزَّوْبَعَةِ.

١٤. في وقت المساء إذا رُعبٌ. قبل الصبح ليسوا هم. هذا نصيب
ناهبينا وحظُّ سالبينا".

هذا الفصل الأخير من الأصحاح يعيد إلى ذهننا ثانياً ما ذكر في (ص ٨: ٥ -

١٠). من أن عصا التأديب بعد أن تكون قد أكملت القصد من وجودها في العقاب
فإنها هى نفسها تتكسر إذ تكون قد انتخرت على الضارب بها.

هذه القبائل رغم كثرتها وقوة صوتها قدومها كهدير المياه وتأتي بضجيج هائل
إلا أن الرب ينتهرها كما بنفخة فمه فتهرب وتصير كالعصافاة في مهب الريح ألم يقل
المزمور عن الأشرار هذا التعبير بعينه: "كالعصافاة التي تذيها الرياح عن وجه
الأرض..."

لأن الشرير يهرب ولا طارد... وينزلقون وملاك الرب يزعجهم... مثلما فعل
الرب بجيش سنحاريب حينما قتل ملاك الرب ١٨٥ ألف جندي في ليلة واحدة وكما
حدث في القديم في يوم الخلاص الذي صنعه الرب بيد جدعون من يد المديانيين.

والملاحظ أن هلاك الأشرار يأتي سريعاً جداً ما بين المساء والصبح ففي
مسائهم رعب الموت ومخاوف الحياة الحافلة بالشر تأتي كلها في ليلة واحدة. وفي
الصبح أي في النور أمام وجه الله لا يوجدوا... لأن طبيعة روح الظلمة لا يقوى على
الوجود في النور... في النور تهرب قوات الظلمة حقاً إن النور يضيء في الظلمة
والظلمة لم تدركه...

هذا هو الخلاص... ليس من قوات جيش مادي ولكن من أجناد الشر الروحية
في السماويات... وكسر سلطان الظلمة بالمسيح يسوع حينما أشرق جسدياً من

العذراء... لذلك فالأرواح النجسة حين رأته هربت وهي تصرخ من الخوف وصارت كالعصافاة أمام الريح وكالجل أمام الزوبعة.

على إننا لابد أن ننبه الذهن أن هذا الخلاص وما يصيب السالين والناهبين من هلاك وانكسار، كل هذا لا يحدث بقوة بشرية ولا عتاد مادي لأن الرب لا يُسرّ بقوة الفرس ولا بساقي الرجل، بل يُسرّ الرب بخائفيه والراجين رحمته.

هذا الخلاص يصنعه الله بذاته، بذراعه القوية ويمينه المعتزة هو يدافع عن ميراثه وشعبه المقتنى، وكما يقول للشعب بضم موسى عبده: "قفوا وانظروا خلاص الرب، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون".

الأصحاح الثامن عشر

١. "يا أرض حَفِيف الأَجْنَحَة التي في عبر أنهار كوشَ.
٢. المُرْسَلَة رُسَالًا في البحر وفي قَوَارِب من البرديِّ على وجه المياه. اذهبوا أيها الرسل السَّريُّعون إلى أُمَّةٍ طويِلَة وجرْداءَ، إلى شعب مخوفٍ منذ كان فصاعداً، أُمَّة قوَة وشِدَّة ودَّوس، قد خَرَقَتِ الأنهار أَرْضَها".

أرض حفيف الأجنحة:

هذه النباتات تخص بلاد الحبشة (كوش)، هنا يسميها الوحي أرض حفيف الأجنحة مشيراً بهذا إلى السلطان الإمبراطوري الذي كان يبسط جناحيه على الحبشة والمناطق المحيطة بها. وقد ذكر هذا التشبيه مرات كثيرة مثل ما قيل عن ملك آشور: "يكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل" (إش ٨ : ٨) وكذلك في نبوة حزقيال حيث شبه ملك آشور بنسر عظيم ذي منكين عريضين.

علاقة الحبشة بإسرائيل في ذلك الزمان:

كان البعض في يهوذا يتطلع إلي أرض كوش كما إلى أرض مصر لطلب المعونة والالتجاء إلي قوتهم العسكرية عندما تحيط بهم جيوش الغرباء ويبدو أنه كانت هناك معاهدة بين يهوذا والحبشة، فعندما حاصر سنحاريب أورشليم بلغه أن "ترهاقة" ملك الحبشة تقدم بالهجوم عليه ليجذب انتباهه عن أورشليم.

الهدف من النبوة:

يكشف الوحي أمام عيون يهوذا ما هو عتيد أن يكون في أرض كوش الإمبراطورية العظيمة التي لها الأنهار تخترق أرضها، ورجالها معتزون بقوتهم وقد برعوا في عمليات التجسس في قوارب البردي واستطلاع مواقع الأعداء وتحركاتهم. والنبوات تعلن زوال هذا المجد وانكسار هذا الذراع البشري الذي التجأ إليه بنو إسرائيل.

فالروح إذًا يسوق هذه النبوات لخزي الذين اكلوا على ذراع البشر ولتحذيرهم من التمادي في الاتكال على قوة بشرية بقلّة إيمانهم وفي نفس الوقت لتعزية التلاميذ الأمانة والتمكين على الله (ص ٨) الذين رفضوا اللجوء إلى غير مخلص إسرائيل القادر وحده على أن ينقذ ويفدي شعبه.

قوة كوش:

الذين تطلعوا إلى طلب المعونة من الحبشة كانوا مبهورين بإمكانيات كوش التي كانت تفتخر بها على الشعوب المحيطة وهي كما تظهر في الآيات:

١. أرض خرقت الأنهار أرضها:

فهي تفتخر على البلاد التي ليس فيها أنهار والتي تعيش على الأمطار وتخاف من الجفاف والقحط.

فلقلة الإيمان نسي البعض من شعب الله ما قاله الرب عن أرضهم "أرض يعتني بها الرب إلهك" وهو الذي يرسل المطر المبكر والمتأخر في حينه.

هذا نوع من الارتداد أصاب أصحاب البصيرة الضعيفة قليلي الإيمان الذين لا يرون سوى الماديات والملموسات.

٢. شبان كوش وفرسانها الموصوفون بأنهم أمة قوية طويلة وقدرتهم على التجسس وخوض المخاطر.

وهذا ما دعا البعض من بني إسرائيل إلى الارتكان إليهم وطلب معونتهم. وهنا النبوات تؤكد على زوال أسباب القوة البشرية وانكسارها فإن كانت أرضهم قد خرقت الأنهار أرضها فسيدفعهم الله إلى يد ملك آشور، الذي هو أقوى منهم وهو أيضًا معتز بأن دجلة والفرات - أعظم الأنهار - تخترق أرضه.

وإن كان شبان كوش وفرسانها لهم شهرة وصيت في الحروب، فإنهم سيدفعون أسرى لمن هم أقوى منهم "شعب طويل وأجرد... أمة شدة ودوس".

وهكذا فليكن معلومًا للذين ينظرون إلى القوة البشرية ويعتدّون بها أنه فوق العالي عالي والأعلى فوقهما يلاحظ.

٣. "يا جميع سُكّانِ الْمَسْكُونَةِ وقاطني الأرض، عندما ترتفع الرّاية على الجبال تنظرون، وعندما يُضْرَبُ بالبوق تسمعون".

إن الإعلانات الإلهية المعلنة في الأصحاح السابق ولا سيما في الأعداد الأخيرة (١٢-١٤) والمختصة بانكسار الناهيين والسالبيين لإسرائيل وهروبهم بنفخة الرب. وأنهم يكونون كالعصافاة أمام الريح وكالجل أمام الزوبعة... أخبار الخلاص هذه وإعلانات عمل الله لا بد أن يسمعها سكان المسكونة وقاطني الأرض.

وهذا ما حدث قديماً في كل قصص الخلاص، فعندما انكسرت بكرات فرعون وغرقت فرسانه في البحر الأحمر، سبقت الأخبار وبلغت الشعوب كلها أن الرب يحارب عن شعبه فانحلت قوة ملوك الشر وأخذتهم الرعدة.

فمن المؤكد أن كلمة الرب وإنذاراته ومواعيده لا بد أن تصل إلى أقصاء المسكونة، وبشارة الخلاص (الإنجيل) يجب أن تطرق أسماع الساكنين في أطراف الأرض.

لذلك يتكلم الوحي هنا ليس للبلاد المجاورة والملاصقة لإسرائيل مثل موآب ودمشق... بل إلى كل قاطني الأرض.

فلا بد أن يسمع الجميع - وبهدوء عظيم - كيف أن هذا الجالس على كرسي مملكته في خيمة داود (انظر الأصحاح السابق) في جبل صهيون يلاحظ طرق الناس ويراقب خطواتهم، وأنه لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين.

عندما ترفع الراية، عندما يضرب بالبوق:

بالراية والبوق تُستعلن الدينونة، فالرب يرفع الراية لشعب الانتقام ليأتي إلى أرض كوش، لأنه كمل زمان كبريائها. ويبوق بالبوق كعلامة للبداية للجيش الذي سينفذ إرادته ويكمل قصده.

إن كان هكذا بالنسبة لدينونة شعب أو أمة واحدة، فكم يكون اليوم الأخير الذي رسمه الله للدينونة لجميع الشعوب، يوم أن تظهر راية الصليب (علامة ابن الإنسان) ويبوق ببوق الله وصوت رئيس الملائكة.

البوق:

توجد أبواق كثيرة تسبق البوق الأخير... أبواق رحمة وإعلانات الله الكثيرة – وأبواق إنذارات الله المتكررة ليوقظ الذين في غفلة منتقلين بالنوم. فأصوات الأنبياء وكرازة الرسل كلها قال الرب لإشعيا، ارفع صوتك كبوق... وأخبر شعبي بتعديهم ...

وقال الرب لحزقيال جعلتك رقيباً لبني إسرائيل وجعل له بوقاً لكي يبوق فيه وهم إن سمعوا وإن امتنعوا.

الراية:

أما الراية التي يرفعها الرب في اليوم الأخير للدينونة فإنها هي راية الخلاص لأبناء الله ... وعلامة الصليب. الذين احتموا تحت راية الصليب وقالوا: "علمه فوقي محبة" واحتموا تحت ظل جناحيه لا يخجلون في مجيئه ... والذين رفضوا رايته يقولون للرجال: "اسقطي علينا وللاكام غطينا".

٤. "لأنه هكذا قال لي الرب: إني أهدأ وأنظر في مسكني كالحرّ الصافي على البقل، كغيم الندى في حرّ الحصاد.
٥. فإنه قبل الحصاد، عند تمام الزهر، وعندما يصير الزهر حصرماً نضيجاً، يقطع القصبان بالمنجل، وينزع الأفنان ويطرّحها.
٦. تترك معاً لجوارح الجبال ولوحوش الأرض، فتصيّف عليها الجوارح، وتشتّي عليها جميع وحوش الأرض".

إن الله في كثير من الأحيان يبدو وكأنه هادئ ساكن وكأنه لا يعبأ بأمورنا يترك الأمور والأحداث تسير في مجراها.... وقد يترك ملك أشور المتجبر يدمر ويهلك ويقترّب من المدن... حتى إلى أبواب المدينة المقدسة أورشليم... ولا شيء يقف في وجهه... يترك الأشرار يتمادون في شرهم وكأنه لا يرى ولا يسمع ظلمهم وفجورهم...

في ذلك الوقت يصرخ الأبرار وكأنه لا منقذ... ولا مخلص... وكأن الله لا يبالي أننا نهلك...

ولكن هنا تعزية كبيرة للذين يدركون قصد الله ويعرفونه عن قرب... إنه يهدأ ولكنه ناظر من مسكنه ومطلع على كل الأمور وهو مدبر الخلاص في حينه... إنه لا يتباطأ ولكنه طويل الروح... إنه في وقته المناسب الذي حدده هو تجده يتدخل بيده الشديدة وذراعه الممدودة ليخلص عبده الذين اتكلوا عليه. هذا هو رجاء منتظري الرب...

وهناك وقت حصاد للأبرار حينما ينقي بيده ويجمع الحنطة المقدسة إلى المخازن العلوية ويجمع مختاريه... وأما التبن فيحرق بنار لا تطفأ هنا يقول إنه يطرح الأشرار عندما يأتي وقت دينونتهم جسدياً بطرح جثثهم للجوارح وطيور السماء ووحوش الأرض... هذه هي الدينونة التي لا يستطيع أن يفلت منها الأشرار الذين استهانوا بقدوس إسرائيل وظنوا أنه لا يراهم ولا يعاقبهم على سوء أفعالهم...

٧. "في ذلك اليوم تُقدّم هديّة لرب الجنود من شعب طويل وأجرد، ومن شعب مخوف منذ كان فصاعداً، من أمة ذات قوة وشدة ودوس، قد خرقت الأنهار أرضها، إلى موضع اسم رب الجنود، جبل صهيون".

إن ختام نبوات إشعياء مليئة بالرجاء والرجوع إلى الله وكأن لسان حال إشعياء هو ما نطق به ملاك سفر الرؤيا "قد صارت ممالك الأرض للرب ولمسيحه"... فالمعارك تدور ولكن النصر دائماً لرب الجنود وكل الأمور تؤول في النهاية للخير للذين يحبون الله وكل القوى تتحرك في الاتجاه الذي يكمل القصد الإلهي.

لقد تنبأ إشعياء عن انكسار أمم ودينونة ممالك ونهاية طغاة الأرض، ولكن هذا كله يلقي ضوءاً على النتيجة الختامية، وهو يوم الخلاص ورجوع الأمم إلى معرفة الله...

في ذلك اليوم تُقدّم هدية من أعتى الأمم وأشهرهم فسقاً وجبروتاً.

وهذا ما رده داود النبي في مزمور ٤٤ "فاض قلبي" الذي يرسم صورة المخلص في بهاء ملكه المسماني وقد قامت الملكة عن يمينه وبنات الملوك وأغنياء شعوب الأرض يتلقون وجهك بالهدايا.

ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن، أية هدايا تقدم لرب الجنود في يوم الخلاص العظيم، لقد قدموا له في طفولته ذهبًا ولبانًا ومرًا، وهو جالس على عرشه الجديد في حجر العذراء القديسة.

فماذا عسى أن تقدم الأمم أفخر من هذه الهدايا النبوية؟ إن إشعياء النبي العظيم في ختام نبواته (ص ٦٦) يقول إن الهدية ستكون نفوس الأمم التي اقتداها المسيح بدمه، فالهدية لرب الجنود ليست ماديات بل نفوس بني البشر التي كانت محسوبة للهلاك. اسمعه يقول: "ويحضرون كل إخوتكم من كل الأمم تقدمت للرب إلى جبل قدسي أورشليم... كما يحضر بنو إسرائيل تقدمت في إناء طاهر"...

هذا هو سر الخلاص الذي جاهد من أجله الرسل لكي يحضروا كل إنسان كتقدمة وقربان لله بالمسيح يسوع ربنا... وفي موضع اسم رب الجنود.

الأصحاح التاسع عشر

١. "وحي من جهة مصر: هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادمٌ إلى مصر، فترتجف أوثان مصر من وجهه، ويدب قلب مصر داخلها".

لقد رمز لمصر في مواضع كثيرة للعالم، ولفرعون مصر برئيس هذا العالم، كما في أيام الخروج من أرض مصر. وتاريخ مصر في الكتاب المقدس تاريخ طويل ومملوء أسرارًا روحية هذا فضلاً عن النبوات الزمنية التي تمت وتمتد على مدى العصور. فمنذ أيام إبراهيم أب الآباء وهناك حركة نحو مصر للتغرب وأيضاً نزل يعقوب إلى مصر هو وكل بنيه بعد أن أرسل الرب يوسف أمامهم لاستبقاء حياة حتى أنه دُعي بلقب نبوي "مخلص العالم" كرمز للعتيد أن يأتي على مثاله ليخلص لا من جوع إلى خبز بل يخلص إلى التمام وهكذا عاد الرب وافقد شعبه المستعبد في أرض مصر. وكانت عين الرب على شعبه في مصر "رأيت عياناً مذلة شعبي الذين في مصر. وكانت أذن الرب نحو أنينهم وقال الرب لموسى: "سمعت أنينهم... نزلت لأخلصهم" وهكذا على مدى الأسفار المقدسة ذكر اسم مصر... حتى سفر الرؤيا اتخذت مصر رمزاً روحياً فيه حين قيل عن الشاهدين الأمينين: "تكون جثتاها... على شارع المدينة العظيمة التي تدعى روحياً سدوم ومصر حيث صُلب ربنا أيضاً". ويعتبر هذا الفصل من نبوات إشعيا النبي من أعماق ما كتبه الروح عن مصر إذ يتكلم برجاء عن عمل النعمة وبشارة الخلاص في مصر وعن مختاري الله الذين ينطقون بتسبيحة ويصفون مجد ملكوته...".

هوذا الرب راكب على سحابة خفيفة:

مجيء الرب على السحاب هو تعبير عن حالة المجد الإلهي الذي يأتي به... وقد قيل عن مجيئه الثاني للدينونة إنه يأتي على سحاب السماء وجميع الملائكة القديسين معه...

وقد يعبر السحاب عن حضور الله المخفى عن إدراك البشر كما ظهر الرب في

أيام موسى في السحاب والضباب عندما طلب موسى قائلاً: "أرني مجدك فقال لا يراني الإنسان ويعيش"... وكما تراءى الرب لإيليا في سحابة وصوت خفيف... وعندما صعد الرب على جبل طابور وتجلى قدام تلاميذه وأضاء وجهه كالشمس... جاءت سحابة نيرة وظللتهم.. هكذا يشير النبي إلى مجيء ربنا إلى مصر راكباً على سحابة حفيفه. إلى مجيئه محمولاً على يدي العذراء القديسة مريم السحابة المملوءة نعمة...

هو راكب على الشاروبيم ومحمول على أيدي العذراء هو جالس على عرش مجده ومتربع على قلب التي أحبته أعظم من كل أحد. والعذراء القديسة مريم هي السحابة التي أخذ الرب جسده منها وأخلى ذاته وحجب مجده بالحجاب أي بجسده.

ومجيء الرب في هروبه إلى أرض مصر كان إذن بتدبير عجيب سبق إشعياء فأعلنه قبل سنين هذا عددها...

فترتجف أوثان مصر...

هذا هو القصد الإلهي... لقد جاء الرب إلى مصر ليحطم أوثانها... يقيم له شعباً خاصاً... ويقتني له أبناء من مصر.

ويذكر التقليد المقدس أنه عند دخول السيد المسيح محمولاً على يدي العذراء القديسة إلى مصر أن الأوثان ارتجفت في أرض مصر كلها...

قال الرب لموسى في ليلة ذبح الفصح وقتل الأبقار في أرض مصر: "إني أجتاز في أرض مصر في هذه الليلة، وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم. وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين. أنا الرب" (خر ١٢: ١٢).

هكذا كانت النتيجة الحتمية لحلول الله واجتيازه في أرض مصر لا أن يضرب أبقار المصريين المعتبرين قوة الخطية وكمالها فقط بل ومعاقل الشيطان ومسكنه المتحصن فيه بالغواية وفساد العبادة. يصنع به الرب أحكاماً وتهتز أساسات معاقله وترتجف أوثان مصر.

حينما دخل تابوت عهد الرب إلى أشدود ووضعوه في هيكل داحون الوثن

الفلستيني في ذلك الزمان (١ صم ٥ : ١ ، ٢). سقط تمثال داجون وأصيب الأثدوديون بداء البواسير من صغيرهم إلى كبيرهم، هكذا قال النبي عن أوثنان مصر عند قدوم الرب إلى مصر ودخوله أرضها راكبًا على سحابة خفيفة محمولاً على يدي العذراء القديسة مريم.

ومن يدرس التاريخ يتعجب كيف أن العبادة الوثنية في مصر كانت ترتجف وترتعد من تلاميذ الرب وتعليمهم وبشارتهم بالخلاص، وقد كانت مصر في العصر الرسولي الأول معتبرة من أكبر معاقل العبادات الوثنية ولكنها لم تلبث أن أصبحت منار المسيحية للعالم أجمع. في فترة وجيزة جدًا.

٢. "وأهيج مصريين على مصريين، فيحاربون كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه: مدينة مدينة، ومملكة مملكة".

ماذا يحدث بعدما ترتجف أوثنان مصر؟

هل يصمت الشيطان على انكساره؟ هل ييأس عندما يأتي الرب إلى مصر ويحطمه في عُقر داره؟

هذا مستحيل فالشيطان لا ييأس ولكنه يحارب ويهجم متأثرًا بجراح الموت... كذلك نستطيع أن نلمح واضحًا أنه في كل مرة يغلب فيها الشيطان يقوم محاولاً أن يضمد جراحه ويستعيد قوته ولكن هيهات...

فبعد أن انهزم الشيطان من معمودية الأردن يحارب الرب في البرية...

وبعد أن انهزم في البرية يهيج الكتبة والفريسيين.

وبعد أن يشعر بالفشل يملأ قلب رؤساء الكهنة ليدافعوا عن ريائهم وسلطانهم الزائف...

حتى بعدما انكسر وانسحق بالصليب لا يزال يجول كأسدٍ يلتمس أن يبتلع واحدًا..

هكذا يكون أثر مجيء الرب إلى مصر وانحطام الأوثان وارتجافها قدامه...

قال الرب ما جئت لألقي سلامًا على الأرض بل سيفًا جئت لأفرق الابن ضد

أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حمايتها وأعداء الإنسان أهل بيته...

هذا ما فعله الرب في مصر.. اقتنى له شهودًا وتلاميذ فانقسمت مصر إلى

عذارى حكيّات وجاهلات... وتلاميذ للمسيح وضد المسيح... وأحباء للصليب،
وأعداء... وابتدأت بمجيء المسيح إلى مصر الحروب الروحية بين أولاد الله وأولاد
العالم...

٣. "وئهِراق روح مصر داخلها، وأفني مشورتها، فيسألون الأوثان والعازفين
وأصحاب التوابع والعرفين.

٤. وأغلق على المصريين في يد مولى قاس، فيتسلط عليهم ملك عزيز،
يقول السيد رب الجنود".

هنا يصف النبي تحرك الشيطان في الحركة المضادة في الذين يهلكون... كيف
أنهم يلجأون إلى عمل الشيطان من عرافة وأصحاب توابع وكلما نشط روح المسيح في
مختاريه كلما نشط الضد للمسيح في عمل الضلال.
ولكي يحكم الشيطان قبضته على الذين هم له يتربع في عرش السلطة الزمنية
حتى يغلق على فريسته بقسوة وسطوة.

٥. "وتُشَفُّ المياه من البحر، ويَجفُّ النهر ويَبَسُّ.

٦. وتُتِنُّ الأنهار، وتضعف وتَجفُّ سواقي مصر، وتلَفُّ القصب والأسلُّ.

٧. والرياضُ على النيل على حافة النيل، وكل مَزْرَعَةٌ على النيل تَبَسُّ
وتتبدد ولا تكون.

٨. والصيادون يَننون، وكل الذين يُلْقون شصًا في النيل يُوحون. والذين
يَبسُطون شَبَكَةً على وجه المياه يحزنون.

٩. ويخزى الذين يعملون الكتان الممشط، والذين يحيكون الأنسجة
البيضاء.

١٠. وتكون عمدها مسحوقَةً، وكل العالمين بالأجرة مكتئبي النفس".

إن تطلعنا إلى هذه الأمور كعقاب مادي وزمني لأرض مصر وهي واقعة تحت
ظل عبادة الأوثان ومستعبدة للشيطان، فإنه يكون أشد عقاب ممكن أن
يلحق بها. فالنيل هو معتمدها، هو فخرها وغناها... فإن جفت مياهه ذبلت أرض

مصر كلها وعمها الدمار والبوار لأن النيل هو شريان الحياة لمصر في كل أجيالها...

وما يتبع جفاف النيل من جذب ومجاعات كتلف الزراعة وبوار الأرض. ثم ثروة الأسماك وعمل الصيد... وأيضًا للذين يعملون في كل أنواع الأعمال مثل نسيج الكتان وحياسة الملابس البيضاء...

إن كل شيء في مصر مرتبط بالنيل ومن ثم فكل الحياة مضروبة بضربة الخراب وحزن الجوع والعطش...

ما أشده عقابًا وما أقساها حياة في ظل تأديبات السماء وكم قاست مصر زمنيًا من هذه الأمور كلها.

والذي له النظرة الروحية يلمح أمورًا أعمق تختص بالمصير الأبدي والروحي... فالمياه في النهر هي مياه الروح... فإن جفت الروح وفارق أرض الإنسان فإنه يصير نهبًا للجوع والعطش وقريبًا من اللعنة... والمغروسون على مجاري المياه هم الصديقون الذين تحدث عنهم المزمور، والصيادون هم الكارزون وما أكثر حزنهم حينما يلقون شباكهم بلا صيد، أما الكتان والثياب البيض فهي ثياب البر والقداسة وفي تلك الأيام يحزن الذين يطلبون القداسة ويجاهدون من أجلها... إن أرضًا يصير حالها الروحي هكذا تستحق الرثاء... وأي رثاء.

١١. "إن رؤساء صوعن أغبياء! حكماء مشيري فرعون مشورتهم بهيمية!

كيف تقولون لفرعون: أنا ابن حكماء، ابن ملوك قداماء؟

١٢. فأين هم حكماءك؟ فليخبروك. ليعرفوا ماذا قضى به رب الجنود على مصر.

١٣. رؤساء صوعن صاروا أغبياء. رؤساء نوف انخدعوا. وأضل مصر وجوه أسباطها.

١٤. مزج الرب في وسطها روح غي، فأضلوا مصر في كل عملها، كترنج السكران في قينته.

١٥. فلا يكون لمصر عمل يعمله رأس أو ذئب، نخلة أو أسلة.

١٦. في ذلك اليوم تكون مصر كالنساء، فترتعد وترجف من هزة يد رب الجنود التي يهزها عليها".

في الأعداد السابقة أعلن الوحي الإلهي ما يصيب الأرض وعامة الناس عندما يهز رب الجنود يده على مصر مؤديبًا ومحطماً أوثانها. وهنا يتعرض لحالة الملوك والرؤساء والمشيرين وما يصلون إليه وهم خاضعون لروح الظلمة...

رؤساء صوعن أغبياء، صوعن هي عاصمة مصر القديمة. وكانت تعتبر أقدام وأكبر عواصم العالم وقد اشتهر المصريون القدامى بالحكمة حتى أنه قيل عن موسى كليم الله إنه تأدب بكل حكمة المصريين واشتهروا أيضًا بكثرة المعرفة في نواحي علوم الدنيا وأسرار الكون أيضًا. وقد استطاع حكماء فرعون وعزافوها أن يفعلوا بسحرهم أعمالاً مبهرة عندما أظهر موسى الآيات التي جعلها الله في يده أمام فرعون. ولكن معلوم أن حكمة هذا العالم جهالة لأن حكماء فرعون - كما يقول الرسول بولس - بينما هم يزعمون إنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى... لذلك أسلمهم الله في شهوات قلوبهم إلى النجاسة... من أجل ذلك جاءت مشورتهم "بهيمية" أي وليدة أناس محصورين في الجسد ومستعبدين للشهوات لأن الحكمة التي ليست من الله شيطانية تغرق الناس في الهلاك...

وقد قال الرسول أيضًا عن الحكمة الإلهية إنها ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون (١ كو ٢) وإنه لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر. من أجل ذلك قال الوحي أين حكماؤك؟ كما قال الرسول أيضًا: "أين الحكيم؟ أين مباحث هذا الدهر؟ ألم يصير الرب حكمة العالم جهالة؟ الآخذ الحكماء بمكرهم وأيضًا الرب يعلم أفكار الحكماء إنها باطلة!!" فإن كان حكماء فرعون ومشيروه فيهم روح حكمة حقيقية فليخبروا ويعرفوا بماذا قضى رب الجنود... ولكنهم حمقوا في أذهانهم وأظلم قلوبهم كما يقول الرسول...

ما أقسى الإنسان المتكل على حكمة هذا العالم والمستند على منطق حكمائه... إن حكماء التراب تخرج روحهم فيعودون إلى ترابهم، في ذلك اليوم تهلك كافة أفكارهم.

١٧. "وتكون أرض يهوذا رعباً لمصر. كل من تذكرها يرتعب من أمام قِضَاءِ رب الجنود الذي يَقْضِي به عليها".

ما أعجب أحكام الله، وما أبعداها عن الفحص، حين تتقلب الموازين وتدور الدوائر على الشيطان وكل قوته بعد أن كان مخيفاً ومرعباً وبعد أن أخضعت له ممالك ودانت له شعوب خاضعة للعبودية... سيصير هو في رعب وخوف وفزع وشدة... هذا ما صار إليه العدو الشيطان بعد أن انكسر سلطانه وسحقت قوته بالصليب. قياساً على هذا الحق نستطيع أن نفهم قول الوحي إن أرض يهوذا تصير رعباً لمصر.

كيف يتأتى هذا ويهوذا مملكة صغيرة لا يعتد بها أمام جبروت فرعون وحكمائه ومركباته وفرسانه؟

إن درس البحر الأحمر هو الإجابة على هذا حين امتدت يد الرب وذراعه القدوسة وحين صرخ المصريون قائلين: "تهرب من إسرائيل، لأن الرب يُقاتل المصريين عنهم" (خر ١٤ : ٢٥).

هكذا ليس بالقوة ولا بالقدرة بل بروحي قال رب الجنود - هكذا عندما يأتي الرب على سحابته الخفيفة - خارجاً من سبط يهوذا ويشرق جسدياً من العذراء القديسة تهرب قوات الظلمة وتصير أرض يهوذا رعباً لمصر ولأوثان مصر ولكل النفوس المتعبدة لأصنام مصر.

أذكر ما قاله الكتاب عن الأرواح النجسة عندما نظرته لقد فزعت وتولاها الرعب وولت هاربة وخرجت من الإنسان وهي تصرخ وتقول آه مالنا ولك يا يسوع الناصري.

١٨. "في ذلك اليوم يكون في أرض مصر حَمْسٌ مُدُنٌ تتكلم بِلُغَةِ كنعان وتَحْلِفُ لرب الجنود يقال لإحداهما "مدينة الشمس".

١٩. في ذلك اليوم يكون مَذْبِحٌ للرب في وَسَطِ أرض مصر، وَعَمُودٌ للرب عند ثُخْمِهَا.

٢٠. فيكون علامةً وشهادةً لرب الجنود في أرض مصر. لأنهم يصرُخون

إلى الرب بسبب المضايقين، فيُرسل لهم مُخْلِصًا وَمُحَامِيًا وَيُنْقِذُهُمْ.
٢١. فيُعَرَفُ الرب في مصر، وَيَعْرِفُ المصريون الرب في ذلك اليَوْمِ،
وَيُقَدِّمُونَ ذَبِيحَةً وَتَقْدِيمَةً، وَيَنْذِرُونَ للرب نَذْرًا وَيَوْفُونَ به.
٢٢. وَيَضْرِبُ الرب مصر ضَارِبًا فَشَافِيًا، فَيَرْجِعُونَ إلى الرب فيسْتَجِيب
لهم ويشفيهم".

هنا يبادر الروح ويخبرنا عن يوم أن يلج نور الخلاص بالمسيح أرض مصر
ويشرق شمس البر عليها.

علامات الخلاص:

أولاً: تغيير اللغة يتكلم خمس مدن بلغة كنعان، إن قبول كمال العمل الإلهي في
الخليقة أعلن بوضوح في يوم الخمسين يوم حلول الروح القدس مثل ألسنة نار. يومها
استعلنت الخليقة الجديدة وصار كل واحد يسمع كلام الله وعجائب الله بلغته التي وُلد
فيها. ولكن بكل تأكيد لم تكن هذه الألسنة من الأرض بل: "كما أعطاهم الروح أن
ينطقوا" هي إذا لسان من فوق كما قيل "أعطاني الرب لسان المتعلمين"... هو لسان
الروح القدس الناري الذي يتكلم أفضل من لغة الناس والملائكة، لذلك قيل في النبوة
إنها لغة كنعان، أي لغة أرض الميعاد ولما كان المسيح قد وعد مختاريه لا بميراث
أرضي ولا مملكة من هذا العالم بل بالمدينة التي لها أساسات، أورشليم السماوية
النازلة من عند الله... فلذلك قيل عن لسان الخلاص ولغة أولاد الله إنها لغة كنعان
الجديدة لغة السمائيين ورثة الملكوت الذين يسبحون تسبحة موسى عبد الرب - أنشودة
الخلاص - ولكنها في السماء كأنها ترنيمة جديدة... هذه هي لغة كنعان.
وتعتبر هذه اللغة - لغة أولاد الله - مميزة لهم في وسط العالم الذي يتكلم
بكلام العالم.

الذي من الأرض أرضي ومن الأرض يتكلم. الذي من فوق هو فوق الجميع
وكل ما سمعه يتكلم به.

كما قيل أيضًا لبطرس لغتك تظهرك.

ثانيًا: نحلف لرب الجنود:

فولاء المخلصين لم يعد لفرعون مصر كما كانوا يحلفون في القديم بحياة فرعون "وحياة فرعون لا تخرجون من هنا إلا بمجيء أخيكم" (تك ٤٢ : ١٥).
وقد أمر الرب شعبه في القديم أن يحلفوا باسمه "الرب إلهك إله واحد.. وباسمه تحلف" تمييزاً لهم عن بقية الشعوب التي كانت تحلف باسم آلهتها.
وقد كان اسم رب الجنود للشعب القديم حصناً وملجأً وقوة ضد كل هجمات الشعوب المجاورة وطغيانهم...
تأمل كيف غلب داود جليات باسم رب الجنود وكيف تنبأ الأنبياء بمواعيد الخلاص باسم رب الجنود.

أما في العهد الجديد فقد صار اسم الخلاص اسم ربنا يسوع المسيح. ليس اسم آخر أعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص إلا اسم يسوع المسيح.
وهو الذي به صار لنا دخول إلى النعمة التي نحن فيها مقيمون وهو الذي به صنع الرسل الآيات "باسم يسوع لك أقول قم" وبه أخرجوا الشياطين... وبه صنعوا قوات ومن أجله تألموا "من أجل اسمي" وهو الذي سيكون للذين يدعون به سبب خلاص إلى أبد الأبد، "لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص" أما المدن التي تتكلم بلغة كنعان فيقال لإحداها مدينة الشمس أي مدينة المسيح...

وتدل الكلمة العبرانية التي ترجمت الشمس على معنى الهلاك أيضًا غير أن التراجم السريانية واللاتينية تترجمها بالشمس والترجمة الكلدانية تجمع المعنيين والسبعينية تترجمها مدينة البر ويعتقد غالبية المفسرين أن المدينة المشار إليها هي هيليوبوليس أي أون في مصر ولا يخفى أن معنى هيليوبوليس إنما هو مدينة الشمس.

ثالثًا: يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر:

وقد أدرك الرب مصر وأشرق عليها وبدد أوثانها وأعطى المصريين لسانًا جديدًا روحياً منعماً عليهم بالموهبة، بالمساواة مع الذين حل عليهم الروح في يوم الخمسين وأسس الرب كنيسة في مصر، فكان مذبح للرب في وسط أرض مصر..

منذ القرن الأول للكراتة والمذبح المقدس قائم في وسط أرض مصر والصعيدة الطاهرة ذبيحة جسد المسيح ودمه الأقدسين تُقدم. وبخور الصلاة يُرفع مقبولاً لدى عرش النعمة.

وعلى الصعيد الآخر فإن مذبح الشهادة الذي جعله الرب في وسط أرض مصر صار واضحاً أمام العالم كله حتى أن الذين قدموا على مذبح الشهادة في مصر يفوق عددهم الذين شهدوا للرب في أنحاء المسكونة.

رابعاً: عمود للرب عند تخمها:

تخوم مصر هي حدودها، عمود الرب هو كاروز الديار المصرية القديس مرقس الرسولي الإنجيلي الطاهر والشهيد...

كان العمود في القديم يُقام شاهداً لحادثة أو لعهد ثم صار الرسل وهم شهود العيان "أعمدة الكنيسة" بطرس ويعقوب ويوحنا المعتبرين أعمدة (غل ٢: ٩)، "من يغلب فسأجعله عموداً في هيكل إلهي" (رؤ ٣: ١٢).

لذلك كانت الكنائس في القرون الأولى تقام على اثني عشر عموداً لأنها تبنى على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.

هكذا صار كاروزنا العظيم علامة شهادة وعمود للرب يسوع عند تخوم مصر أي عند حدودها... في مدينة كراتته الأولى الإسكندرية وهي أيضاً مدينة شهادته فهو صار عموداً شاهداً في كراتته وعموداً شاهداً في استشهاده وموته في شوارعها...

وتم فيه القول إنه يكون علامة وشهادة لرب الجنود في أرض مصر (ع ٢٠).

فمصر تدعى كراتة مارمرقس إلى يوم مجيء المسيح.

"لأنهم يصرّخون إلى الرب بسبب المضايقين، فيُرسل لهم مُخْلِصًا ومُخَامِياً وَيُنْقِذُهُمْ. فَيُعْرِفُ الرب في مصر، وَيَعْرِفُ المصريون الرب في ذلك اليوم".

هذا هو يوم قبول المصريين - الأمم - في بركات العهد الجديد عهد معرفة الرب - حين يقال الجميع متعلمين من الله ولا يعلم كل واحد قريبه قائلاً: اعرف الرب لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم... هذه المعرفة هي في وجه يسوع

المسيح حين أشرق الله في قلوبنا لإنارة معرفة مجده...

وهى معرفة ولكن في سر الحكمة التي في أجيال آخر لم يعرف بها بنو البشر ولكن استعلن لنا بواسطة الكرازة باسم يسوع التي حملها إلى مصر مرقس الرسول.

لكن الملاحظ هنا أن المعرفة مقترنة بالذبيحة ونذر الحياة. يقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذرًا ويوفون به.

فالمعرفة - معرفة المسيح في مصر ليست بالكلام ولا باللسان بل هي مقترنة بتقديم ذبائح مقبولة ونذور لدى الله. فمن مصر تقدمت ذبائح الشهادة، وعطر دم الشهداء أرجاء الكنيسة الجامعة، وروى دمهم بذرة الإيمان الذي سُلِم إلينا مرة من القديسين.

وفي مصر رفعت ذبائح التسبيح كما لم ترفع في كل العالم وصار مذبح الصلاة والسهر وخدمة التسبيح من ملامح الكنيسة.

وناهيك عن ذبائح النسك فكنيسة مصر - أم النساك ومعلمة المسكونة - ومنها بدأت أول حركة للتكريس وتقديم الشباب والحياة بجملتها نذرًا للرب.

فكنيسة مصر هي أم الشهداء وأم النساك ونذور أبناء مصر بالحياة تقدم على مذابح التضحية والشهادة محبة في الملك المسيح هي تحقيق مستمر لهذه النبوات التي اختص بها الروح كنيسة الرب في مصر.

٢٣. "في ذلك اليوم تكون سكة من مصر إلى أشور، فيجيء الأشوريون

إلى مصر والمصريون إلى أشور، ويعبد المصريون مع الأشوريين.

٢٤. في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثلثًا لمصر ولأشور، بركة في الأرض،

بها يُبارك رب الجنود قائلًا: مُبارك شعبي مصر، وعمل يدي أشور،

وميراثي إسرائيل."

سكة من مصر:

إن الرب يسوع قال عن نفسه أنا هو الطريق وكان المسيحيون الأوائل يدعون

أتباع الطريق، وكان يُقال عن المضطهدين إنهم كانوا يشتمون الطريق، فالمسيحية

باختصار هي الطريق إلى الله، وهي طريق الخلاص والحياة الأبدية والطريق الوحيد إلى الملكوت.

وقد سبق الأنبياء جميعهم وتنبأوا عن هذا الطريق ويكفي أن نصغي لنبوة إشعيا (ص ٣٥: ٨) "وتكون هناك سكة وطريق يُقال لها: الطريق المقدسة. لا يعبر فيها نجس... من سلك في الطريق حتى الجهال، لا يضلُّ" (إش ٣٥: ٨).

إن بين مصر وأشور أوجه كثيرة للشبه، فالمصريون والأشوريون تفوقوا على بني إسرائيل من حيث القوة والجبروت... وقد تمجد الرب بالمصريين في البحر الأحمر وبالأشوريين على أسوار أورشليم حيث قتل ملاك الرب ١٨٥ ألفًا من جيش أشور في ليلة واحدة.

ثم في زمن لاحق نظر بنو إسرائيل إلى مصر للمعونة كما استأجروا الأشوريين لذات السبب عندما ضايقتهم الشعوب المحيطة.

والنبوات هنا تعلن أنه كما افتقدت النعمة أرض مصر واختارت أن يكون للرب فيها مذبحًا وعمود شهادة هكذا ستصير الطريق من مصر إلى أشور وترتبط مصر بأشور بالطريق المقدسة.

وكما ارتبطت مصر وأشور بإسرائيل في الزمان الأول بالعداوة والعدوان سيربطهم الزمن الأخير بوحدانية العبادة والولاء للطريق الواحد المؤدي إلى الملكوت.

وتصير هذه الوحدانية بركة للأرض كلها في وحدة الإيمان بها يبارك رب الجنود شعوب وقبائل العالم في يوم أن يرد الرب سبي الجميع وتصير الأرض للرب ولمسيحها.

في ذلك اليوم ستكون الكنيسة بإيمانها المستقيم في مصر وأشور وإسرائيل مثل خميرة صغيرة حين تخمر العالم كله.

مبارك شعبي مصر وعمل يدي أشور وميراثي إسرائيل ما أحلاها أنشودة تشع بالرجاء في نفوس منتظري الرب إلى كل الأجيال.

الأصحاح العشرون

١. "في سنة مَجِيء تَرْتان إلى أَشْدُود، حين أرسله سَرَجُون مَلِك أَشُور
فحارب أَشْدُود وأخَذَها.

٢. في ذلك الوقت تكَلَّمَ الرب عن يَدِ إِشعِياء بن آمُوص قائلاً: اذهب
وحُلِّ المِسْحَ عن حَقْوَيْكَ واخْلَعْ حِذَاءَكَ عن رِجْلَيْكَ. ففعل هكذا
ومشَى مُعَرِّى وحافياً".

ترتان اسم آشوري وهو لقب يطلق على رئيس جيش الأشوريين
(٢ مل ١٨: ١٧).

ميزة الكتاب المقدس تسجيل أوقات النبوات ومع أن الكتاب المقدس ليس كتاب
للتاريخ ولكنه حين تعرض لتسجيل الحوادث سجلها بدقة مذهلة فأسماء الأشخاص
والعصور والأماكن التي وردت فيه جاءت دون أن يكون ذلك هدفًا.. جاءت وثائق
دامغة لصحة ما نطق به الروح في كل جيل وفي كل زمان.

وهذه النبوة يسجلها النبي في أيام ملك سرجون ملك آشور حين أرسل قائده إلى
أشدود إحدى مدن الفلسطينيين الخمس الرئيسية وهزمها. لكن النبوة أصلاً
لا تختص بأشدود وإنما هي نبوة بخصوص مصر والحبشة (كوش). وفي هذه المرة
استخدم الرب إشعيا كوسيلة إيضاح أمام الشعب وجعله آية لهم وحدث هذا مرات
قليلة في حياة إشعيا.

جعل الرب أيضاً حزقيال وهوشع آية ومثالاً أمام الشعب... وكل الأنبياء في
طاعتهم احتملوا مشقات وآلام من أجل الرب لكي يكلم الرب الشعب ليس فقط بلسانهم
وفكرهم ومشاعرهم بل وأيضاً بآلامهم وأوجاعهم.

أمر الله حزقيال النبي أن يتكىء على جنبه اليسار ٣٩ يوماً ويأكل خبزاً نجساً
وتتمرر نفسه بمرارة المر. ويعبر الوحي عن هذا قائلاً: لكي تحمل إثم إسرائيل، ثم
أمره الله أيضاً أن يرقد على جنبه الآخر ٤٠ يوماً يحمل فيها إثم يهوذا.

ولقد احتمل حزقيال كل هذا بصبر وصار آية لكل من يراه ويسمع عنه، وهكذا
أيضاً آجازه الرب في أحزان كثيرة، وأخذ زوجته وقال له: "لا تنح ولا تبك ولا تنزل

دموعك. تتهدّ ساكنًا... فكلمتُ الشعب صباحًا وماتت زوجتي مساءً. وفعلت في الغد كما أمرت" (حز ٢٤: ١٥-١٨).

كما أمر الله هوشع أن يتزوج بامرأة زانية لكي يصير آية أمام الشعب ولكي يعلموا كيف قبل الرب أن يلتصق بشعب يجري وراء العالم.

٣. "فقال الرب: كما مشى عبدي إشعياءٌ مُعَرَّى وحافيًا ثلاث سنين، آيةً وأُعجوبةً على مصر وعلى كُوشَ.

٤. هكذا يسوقُ مَلِكُ أَشُورِ سبي مصر وجلاءَ كوش، الفتيان والشيوخ عُرَاةً وحُفَاةً ومكشوفي الأستاهِ خزيًا لمصر".

يا للعجب من هذا السلوك الرائع الذي سلك به خدام الرب وأنبيائه القديسين، ما هذه الطاعة والخضوع ووضع النفس تحت سلطان الكلمة. ما أحوج خدام اليوم أن يجلسوا عن قدمي عبيد الرب الذين خدموه بالروح والحق ليتعلموا الطاعة والخضوع واحتمال نفقات خدمة الكلمة.

فحزقيال في خضوعه العجيب المذهل يقول فعلت كما أمرت، وإشعياء في تفریط كامل في الذات والكرامة يسير ثلاث سنوات حافيًا وعريانًا ليصير آية وأعجوبة. إن كل ما تحمله الأنبياء وخدام الكلمة من مهانة وهزء وازدراء كان يحسب كلا شيء حتى يكملوا سعيهم والخدمة التي إنتمنهم الرب عليها كان كل واحد منهم يفرح وهو ينفق، وينقص ويتهلل ولسان حاله يقول للرب: "من أجلك نمات كل النهار".

ثم أليست آلام الخدام في العهد القديم كلها كانت تعتبر ظلاً لآلام مخلصنا الصالح الذي خدم خلاص العالم كله واحتمل العار مستهينًا بالخزي... الذي لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا... غير المحدود وغير الزمني صار تحت الزمان، سيد الخليقة كلها أخذ شكل العبد وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت الصليب. فلنجعل الصليب مرسومًا في ضمائرنا ولنركز النظر في رئيس إيماننا ومكمله ولنطلب أن يجعل الرب لنا نصيبًا في التألم من أجل خدمة الكلمة...

بل أن ميخا النبي العظيم شريك إشعياء في خدمة الكلمة والكراسة والمؤمن نبيًا

للرب في ذات الحقبة الزمنية عندما اقترب من جراحات شعبه إذ هي عديمة الشفاء اسمعه يقول: "من أجل ذلك أنوح وأولول أمشي حافيًا وعريانًا"...

ولكن لماذا يكلم الرب هذا الشعب بإشعياء النبي بهذه الطريقة، أن يجعل عبده وخادمه هكذا في خزي وعار؟ الجواب: "ليكون آية وأعجوبة" لم يعد الشعب لسمع كلام الله بالطريقة المعتادة، ثقلت آذانهم عن السمع وكلت عيونهم عن البصر... إله هذا الدهر أعمى عيونهم وسد آذانهم.

لعل منظر إشعياء النبي وهو على هذه الصورة يحرك مشاعرهم أو يغير قلوبهم قبل فوات الأوان.

٥. "فيرتاعون ويخجلون من أجل كوش رجائهم، ومن أجل مصر فخرهم.

٦. ويقول ساكن هذا الساحل في ذلك اليوم: هوذا هكذا ملجأنا الذي هربنا إليه للمعونة لننجو من ملك آشور، فكيف نسلم نحن؟".

١. لا تتكلموا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص هم اليوم في قوة وغداً

في ضعف، الآن يبدو منظرهم مهوباً مرعباً وغداً خرباً ومفسداً.

٢. إن ملك آشور سيسبي شرفاء مصر والحكماء والمعتبرين ويعيرهم من

حكمتهم ويصيرهم في خزي هكذا فأين حكمة الحكماء وأصحاب الرأي والمشورة؟ هل تنفعهم حكمتهم العالمية في يوم بليتهم؟

٣. إن كان الذين تنتظرون إليهم وتضعون رجاءكم عليهم سيفعل الرب بهم هكذا؟

فكيف يكون حالكم!!

ارجعوا يا شعبي، إن لكم ملجأً وحصناً جباراً يركض إليه الصديق ويتمتع.

إن لكم رجاء لا يخزي، وجميع الذين نظروه استناروا ووجوههم ولم تخجل.

يا ليت هذا الدرس يكون نافعاً ومفيداً للكنسية في كل أجيالها إذ تجعل رجاءها

ثابتاً في الله وحده فلا تستند إلا على ذراع حبيبها.

لأنه سيأتي وقت فيه يخزي جميع المتكلمين على ذراع البشر.

الأصحاح الحادي والعشرون

انتهى الأصحاح السابق بهذا السؤال "كيف ننجو نحن" وقد تردد هذا السؤال على لسان المؤمنين الذين أعلن لهم بالنبوة كيف أن سبى مصر وسبى كوش سيسوقهم ملك أشور عراه وحفاة كما مشى إشعياء النبي معرى وحافياً. وقد كانت آمال كثير من الشعب في إسرائيل معلقة على ذراع مصر وقوة كوش فماذا إذا أظهر الرب انكسارهما؟ في ذلك الوقت يخزى المتكلمون على ذراع البشر.

وقد تساءل أولاد الله الذين جعلوا رجاءهم في شخصه وحده كيف ننجو نحن؟

كيف ننجو وقد وضعنا رجاءنا في قوة البشر؟

كيف ننجو وقد أدينت الأمم التي حولنا وشعوب كثيرة وقعت تحت العقاب. كيف ننجو وملك أشور - كما أعلنت النبوة - سيأتي على الأخضر واليابس ولم يترك أمامه بلاداً إلاً وأذلها ولم ينج شعب من بطشه وسطوته ورداً على سؤال البقية الأمانة ولتعزية هذه النفوس المخلصة أظهر الرب في هذا الأصحاح طريق الخلاص وباب النجاة.

١. "وحي من جهة بريّة البحر: كزوابع في الجنوب عاصفة، يأتي من البرية من أرض مخوفة.

٢. قد أعلّنت لي رؤيا قاسية: النَّاهِبُ نَاهِبًا والمُخْرَبُ مُخْرَبًا. اصعدي يا عيلاًم. حاصري يا مادي. قد أبطلت كل أنينها.

٣. لذلك امتلأت حقواي وجعاً، وأخذني مَخَاضٌ كَمَخَاضِ الوالدة. تلوّيت حتى لا أسمع. اندهشت حتى لا أنظر.

٤. تاه قلبي. بعثني رعبٌ. ليلة لذّتي جعلها لي رعدةً.

٥. يرتبّون المائدة، يحرّسون الجراسة، يأكلون. يشربون. قوموا أيها الرؤساء امسحوا المِجَنَّ.

طريق الخلاص من أشور.

هنا يعلن الرب طريق الخلاص من آشور ويعلن قبل الوقت بكثير انكسار بابل التي كانت قد حاصرت أورشليم وكانت تهددها وتعيير صفوفها وتسخر من اتكالها على إلهها.

وقد دعا الوحي بابل في نبوات هذا الأصحاح باسم رمزي: "برية البحر". وكثيراً ما دعا الرب بابل بهذا الاسم ففي سفر حزقيال يقول الروح وهو ينبئ بسبي بني إسرائيل إلى بابل: "آتي بكم إلى برية الشعوب... وأحاكمكم هناك". ويقول إرميا النبي: "عندما يجلب الرب سيف على بابل وعلى أبطالها أنه يكون حر على مياهها فتتشف". وهكذا في سفر الرؤيا يقول الروح: "هلم فأريك دينونة الزانية... فأخذني الروح إلى برية... ثم قال لي المياه التي رأيت حيث الزانية... هي شعوب وجموع وأمم وألسنة".

فإن كانت شعوب آشور هكذا في الكثرة كمياه كثيرة فهل يعسر على الرب أمر انكسارها... ها الرب يهيج عليها زوابع عاصفة وريح الجنوب العاتية مملكتي مادي وفارس فينقضها عليها ويقضيها فيها على كل أعمال الظلم والكبرياء.

وفي تشبيه مملكة مادي بالزوابع يجدر بنا أن نعلم أن الزوابع سريعاً ما تشور ولكن بعد ما ينتهي عملها تختفي تماماً هي الأخرى.

ولنا أيضاً أن نعرف أن هذه الزوابع تتحرك مُخضعة للرب الإله كما قيل في ناحوم النبي: "الرب في الزوبعة في العاصف طريقه والسحاب تحت رجليه".

إذا يد الرب القدير متدخلة في كل الأمور. فهو عندما يريد أن يجري حكماً فإن كل الأشياء وكل الخليقة تكون في صفه. وعندما يقضي بقضاء الأمم فإن كل القوات تعمل إرادته عند سماع صوت كلامه.

٢. "قد أُعْلِنْتُ لِي رُؤْيَا قَاسِيَةً: النَّاهِبُ نَهَبًا وَالْمُخْرَبُ مُخْرَبًا. اصْعَدِي

يَا عِيْلَامُ. حَاصِرِي يَا مَادِي، قَدْ أَبْطَلْتُ كُلَّ أُنِينِهَا".

إن الرب لا يصنع أمراً إلا ويرى عبيده الأنبياء... ما لا بد أن يكون... والرؤيا هنا كما يقول إشعياء رؤيا قاسية، عندما تهجم جيوش مادي وفارس على بابل تنهبها نهباً وتخربها تخريباً. وقد ذكر النبي بالاسم عيلام ومادي ليحقق للنفوس المتلهفة

للخلاص والمتوقعة خراب بابل أن الأمر ليس خيالاً ولا بعيداً عن الحدوث بل هو متوقع وسيحدث ولكن في ملء الزمان.

٣. "لذلك امتلأت حقواي وجعاً، وأخذني مخاضٌ كمخاض الوالدة.
تلوّيت حتى لا أسمع. اندهشتُ حتى لا أنظر.
٤. تاه قلبي. بغتني رُعبٌ ليلةٌ لذّتي جعلها لي رعدةً.
٥. يُرتّبون المائدة، يحرسون الجِراسة، يأكلون. يشربون. قوموا أيها
الرؤساء امسحوا المِجَنَّ".

الناظر هنا لا ينظر من بعيد بل كأنه أحد المسبيين في بابل والموجودين في قصر ملك بابل ليلة انكسارها... هنا جلال النبوة وقدرة الروح على سبق الأحداث وتجاوز الزمن.

فقد حدث هذا بالفعل أنه بينما كان بيلشاصر ملك بابل ابن نبوخذ نصر، يصنع وليمة عظيمة لعظمائمه وقد أمر بإحضار أنية الذهب التي استولى عليها نبوخذ نصر من هيكل الرب في أورشليم - وبينما هو في نشوة الخمر وحوله عظماءه ونساؤه وسواريه. ظهرت أصابع يد إنسان وكتبت على الحائط: "منا منا تقيل وفرسين"... وعندما أحضر دانيال فسر هذا الكلام هكذا: "منا، أحصى الله ملكك وأنهاه. تقيل، وُزنت بالموازين فوجدت ناقصاً. فرس، قُسمت مملكتك وأعطيت لمادي وفارس. وفي تلك الليلة قُتل بيلشاصر ملك الكلدانيين، فأخذ المملكة داريوس المادي" (دا ٥).

هكذا سجل إشعيا هذه الأحداث قبل سنين كثيرة ولكنه سجلها كشاهد عيان بالرؤيا النبوية.

تأمل كيف صارت ليلة اللذة والتنعم ليلة للذبح واستحقاق الدينونة... إن الذين يحسبون تنعم يوم لذة، ويربون قلوبهم كما ليوم الذبح ويفتخرون في تعظيمهم. سيفاجئهم الهلاك بغتة فلا ينجون.

بينما هم يأكلون ويشربون جاءت ساعة الدينونة كما قال الرب... هكذا كما كان في أيام نوح كان الناس يلهون يأكلون ويشربون. إلى أن جاء الطوفان وأهلك الجميع. وكما في أيام لوط... وهكذا سيكون في مجيء ربنا يسوع المسيح الثاني...

أما أولاد الله فهم بنو النور وبنو النهار... لا يأتي عليهم هذا اليوم هكذا كلص في الليل. لأن طاعة وصية رب المجد يسوع: "اسهروا" سوف تتجهم من هذا الهلاك المروع.

٦. "لأنه هكذا قال لي السيد: اذهب أقيم الحارس. ليُخبر بما يرى.
٧. فرأى ركاباً أزواج فرسان. ركاب حمير. ركاب جمال. فأصغي إصغاءً شديداً.

٨. ثم صرخ كأسدٍ أيها السيد، أنا قائمٌ على المرصدٍ دائماً في النهار، وأنا واقفٌ على المحرس كل الليالي.

٩. وهوذا ركابٌ من الرجال. أزواجٌ من الفرسان. فأجاب وقال: سقطت، سقطت بابل، وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض.

١٠. يا دياستي وبني بيدري. ما سمعته من رب الجنود إله إسرائيل أخبرتكم به".

هذه البشارة بانكسار بابل (مملكة الشيطان) استودعها إشعيا النبي آذان خاصته، بعدما سمعها هو شخصياً من رب الجنود. فالاستعلان والاكتشاف الشخصي والخبرة الخاصة لا بد أن تسبق الكرازة، فالقديس يوحنا الحبيب يقول: "الذي رأيناه بعيوننا، الذي لمسناه بأيدينا... نخبركم به...".

إشعيا النبي يبشر "دياستي وبني بيدري" الدياسة هم الذي يدوسون في معاصر العنب وبني البيدر هم الذين يعملون في حصاد الحنطة. الكرازة إذًا تخص هؤلاء وأولئك بصفة خاصة. لأن المهتمين بالخبز والخمر هنا يشيران بأصبع سري إلى الذين صاروا فيما بعد خداماً للأسرار ويعملون لحساب التقديس وملكوت الله.

والعجيب إن كلمة البشارة التي سمعها إشعيا النبي لسقوط بابل بصوت عظيم من الحارس الذي أقامه لينظر. وصرخ كأسد، هي ذات الكلمات التي سمعها يوحنا الرائي من فم الملاك في (رؤ ١٤: ٨). "ثم تبعه ملاك آخر قائلاً: سقطت سقطت بابل المدينة العظيمة، لأنها سقت جميع الأمم من خمر

غضب زناها".

وقد كرر الحارس والملاك كلمة سقطت سقطت... من فرط الفرح... فالحارس متهلل لأنه كسرت تماثيل الآلهة المنحوتة وسقطت عبادة الأوثان وانهزم روح الضلال والزيغان بعيداً عن الله. والملاك يصرخ أيضاً يبشر أولاده الذين مازلوا في الجسد بأن خمر الزنى وسكر النجاسات الذي سقته بابل للأمم وإزاعتهم ليزنوا وراءها بعيداً عن الله، فقد انفضح وسقطت بابل سقوطاً عظيماً.

فرؤيا إشعياء والقديس يوحنا هما وجهان لحقيقة واحدة، فسقوط بابل زمنياً حسب نبوة إشعياء، وسقوطها روحياً بحسب رؤيا اللاهوتي يحملان نفس المعنى عند أولاد الله.

١١. "وحي من جهة دومة: صرّخ إليّ صارخ من سعير: يا حارس، ما من

الليل؟ يا حارس، ما من الليل؟

١٢. قال الحارس: أتى صباح وأيضاً ليل. إن كنتم تطلبون فاطلبوا.

ارجعوا، تعالوا".

دومة اسم سري نبوي لأدوم (أي عيسو) لأن كلمة سعير، أي ذو شعر هي إشارة لنبى عيسو ولكن كلمة دومة تعني الصمت والسكوت المطبق أي سكوت الموت. وقد كانت هذه الكلمة هي التعبير الصادق عن حالة هذه البلاد المتاخمة لإسرائيل بحسب الجوار المادي ولكنها محسوبة في عداد من يجلسون في ظلال الموت وهي السكون والوحشة بعيداً عن الله... إنها كورة الموت حيث لا يسمع صوت الله من أحد لا نبوة ولا رؤية ولا صلاة... لقد أسقط الله من حساب شعب هكذا وهم مرفوضون من جهة الإيمان وليس لهم نصيب ولا قسم في مواعيد الله. إلى هذه الناحية يشير الوحي...

ولكن الأذن المختونة التي لإشعياء النبي التي تطهرت دائماً بسماع صوت الله وأرهفت الحس لتتجاوب مع الإلهام الإلهي صارت تسمع الذين يصرخون حتى في وادي ظل الموت.

لقد رأى بولس الرسول في رؤياه من يصرخ من مكذوبة قائلاً: "عبر إلينا

وأعنا... " هنا قلب الكارز الحنون محب الخطاة كسيده الذي يعمل فيه الروح القدس بلا مانع... يسمع صراخ المساكين وتتهجد البائسين.

وقد صرخ الصوت من سكير في قلب إشعيا قبل أذنه قائلاً: "يا حارس ما من الليل؟" إي هل مازال جزء كبير من الليل؟ ألم يقترب الفجر؟ ألا توجد نهاية لليل طويل؟

يا لها من صرخات مؤثرة كثيراً ما نتغاضى عنها بل كثيراً ما نسد آذاننا دونها. إنها صرخات الذين تمرروا بظلام الخطية وسقطوا تحت سلطان روح الظلمة بنيره الثقيل والمخيف.

يا ليت الذين تمتعوا بشمس البر وأشرق عليهم نور ربنا بتجسده وعاشوا وتذوقوا مواهب النور في وجه يسوع يرعون نحو هذه النفوس التعسة بفضل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب قال الحارس أتى صباح... المجد للذي افتقدنا مشرقاً من العلاء وأشرق جسدياً من العذراء القديسة مريم.

أتى صباح وأيضاً ليل:

لقد جاء المسيح نور العالم، وأشرق على الجالسين في الظلمة وأنار لنا الحياة والخلود، ولكن يوجد أيضاً ليل فالخطية موجودة وروح الظلمة لا يكف في أن يذبح ويهلك ويخضع نفوساً تحت عبوديته.

لكن المسيح نور العالم قد فتح باب الرجاء على مصراعيه أمام الخطاة والآثمة. إن كنتم تطلبون فاطلبوا. ارجعوا تعالوا...

هذا صوت المخلص لهؤلاء الأمم المحسوبين أمواتاً بالذنوب والخطايا وغلف الجسد، الذين قضوا حياتهم في اللعنة وقيود الشهوات.

هذا صوت المخلص ارجعوا إليّ أرجع إليكم يقول الرب، بالدموع والبكاء بالتوبة، باب التوبة مفتوح لكل من يدعو باسمه، وكل من يقبل إليه لا يخرجته خارجاً.

ولكن الأمر مشروط بإرادة الإنسان وخلص الإنسان لا يتم دون أن يريد هو.

إن كنتم تطلبون حقيقة خلاصاً من الموت وإنقاذاً من هوة الهلاك فها

رب المجد فاتحًا أحضانه على الصليب وقدماه مسمرتين كأنه على موعد مع الخطاة
هناك يصنع الخلاص ويفدي المسيبين ويقيم موتى القبور ويخرج من الجحيم.

١٣. "وحي من جهة بلاد العرب: في الوعر في بلاد العرب تبيتين،
يا قوافل الددانيين.

١٤. هاتوا ماءً لملاقاة العطشان، يا سكان أرض تيماء. وافوا الهارب
بخبزه.

١٥. فإنهم من أمام السيوف قد هربوا. من أمام السيف المسلول، ومن
أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدة الحرب.

١٦. فإنه هكذا قال لي السيد: في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل
مجد قيذار.

١٧. وبقية عدد قسي أبطال بني قيذار تقل، لأن الرب إله إسرائيل
قد تكلم.

هنا يعلن الوحي أن السنة نار الهجوم البابلي ستلحق حتى بالقبائل المجاورة
السكنة جنوب شرقي أدوم وهي قبائل ديدان وقيدار.

وقبائل الددانيين هم تجار بين بلاد العرب وترشيش (حز ٢٧)، هنا يصور
إشعياء حالهم وقد هربوا عن طريق تجارتهم ولجأوا للصحراء ينشدون الأمان
في القفر!!

ثم ينادي أهل تيماء أن يقدموا يد المعونة للهاربين من وجه سيف أشور وقوسه
المشدودة، وهم في قمة الإعياء والتعب يكادون يهلكون عطشًا وجوعًا وينبئ الوحي أن
مجد قيذار (ابن إسماعيل) كان يسكن في خيام سواداء مضروبة بالشمس سيفنى في
سنة سكنى العبد الأجير.

تأمل:

الذين استهوتهم بضاعة العالم ومجده وراحوا يتاجرون في الأرضيات ويستغنون
بغنى العالم ومباهجه الكاذبة - سيكون نصيبهم مع العالم في انهياره وزوال مجده.

ينادي الوحي أولئك الساكنين في القفر أن يحضروا خبرًا وماء في يوم البلية

ليرووا النفوس الذليلة ويسندوا المنكسرين ولكن من أين لهم الماء والخبز وهم سكان القفر؟

إن الذي هو عطشان يُقبل إلى المسيح وحده فيأخذ ماء حياة مجاناً.

ومن يجوع يأتي إليه وحده فهو خبز الحياة الأبدية.

ولكن أهل قيذار لا يمكنهم المعونة ولا يستطيعون عمل الخلاص وهم تماماً كما قال الرب: "أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة" هذه هي معونات البشر وقت الشدة وخلصهم كذب لأنهم يعينون باطلاً ولكن طوبى لمن إله يعقوب معينه واتكاله على الرب إلهه. في يوم السوء ينجيه الرب.